الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الوادي

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

السنة الثالثة تاريخ عام

# العلاقة بين المتصوفة والسلطة الموحدية خلال القرن (6هـ)

## " أبو مدين شعيب أنموذجًا "

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ

**إعداد الطلبة:**

تلي محمد العيد

حمي آمنة

خلوط زينب

صحراوي نصيرة

عبدالقوي مبارك

عزوز سهير

عياشي الحبيب

مراح فتيحة

**إشراف الأستاذ:**

العابد عبدالحميد

**لجنة القراءة والمناقشة**

أ/ قمعون العاشوري..... رئيـــــسا

أ/ العابد عبدالحميد.....مشرفا ومقررا

أ/ بن نور عبد الحق.....عضوا مناقشا

السنة الجامعية / 1434. 1435هـ/2013. 2014م

# شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

[المجادلة: 11]

قال النبي ﷺ: ﴿ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ ﴾

الحمد الله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

انطلاقا من ذلك لا يفوتنا في هذه الفرصة الطيبة وفي فاتحة هذا العمل المبارك أن نتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل ونخصّ بالذكر الأستاذ الفاضل

## "عبد الحميد العابد"

الذي نسجل له بكل عرفان وتقدير جهوده الصادقة معنا، فلو لا سعة أفقه ورحابة صدره وحرصه أكثر منا على إتمام العمل لما وصلنا إلى هذا المقام، كما لم يبخل علينا بنصائحه القيمة التي كانت عونا لنا في إنجاز هذا الموضوع، فلا يسعنا إلاّ أن نتمنى له التوفيق الدائم وأن يكتب الله عمله هذا في ميزان حسناته

كما لا يمكننا في هذا المقام أن ننسى أساتذة قسم التاريخ كل باسمه، نتقدم لهم بتشكراتنا على ما بذلوه خلال مشوارنا الجامعي

كما نتقدم بشكر تعلوه الصداقة ويخطه دعم وإقدام إلى الأخوة والأخوات، إلى الزملاء والزميلات، إلى الطلاب إلى كل الأصدقاء والصديقات خاصة الأفواج

(1-2-6)

وشكرا أخيرا لكل باحث وكل طالب وكل من اتخذ له العلم بيتا وأمنا

# قائمة المختصرات

| الرمـــــــــــز | ترجمتـــه حرفيـــــة |
|---|---|
| مج | مجلد |
| ج | جزء |
| ق | قسم |
| ع | العصر |
| تح | تحقيق |
| تع | تعليق |
| تص | تصحيح |
| تر | ترجمة |
| د م ن | دون مكان نشر |
| دت | دون تاريخ |
| دط | دون طبعة |
| ط | طبعة |
| ت | توفي |
| ق | قرن |
| ت ق | توفي في القرن |
| ص ص | من الصفحة إلى الصفحة |

# فهرس الموضوعات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| فهرس الموضوعات | / |
| مقدمة | 01 |
| **مدخل: نشأة الدولة الموحدية في المغرب والأندلس** | 06 |
| **الفصل الأول: الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للدولة الموحدية خلال القرن (6هـ)** | 11 |
| الوضع الاجتماعي للدولة الموحدية | 11 |
| الوضع الاقتصادي للدولة الموحدية | 17 |
| الوضع السياسي للدولة الموحدية | 21 |
| الأزمات التي واجهت الدولة الموحدية | 25 |
| **الفصل الثاني: أبو مدين شعيب من النشأة إلى الوفاة** | 30 |
| 1.1. أبو مدين مولده ونشأته | 30 |
| 1.2. رحلاته وشيوخه | 32 |
| 1.3. أتباعه وتلامذته | 38 |
| 1.4. وفاته | 40 |
| **الفصل الثالث: علاقة المتصوفة بالسلطة الموحدية** | 44 |
| 1. إنتشار التصوف في بلاد المغرب ودلالاته | 44 |
| 1.1. أسباب انتشار التصوف في بلاد المغرب الإسلامي | 44 |
| 1.2. مظاهر انتشار التصوف في بلاد المغرب الإسلامي | 46 |
| 2. حركة التصوف واتجاهاتهم | 47 |
| 2.1. المتصوفة السنيون | 47 |
| 2.2. المتصوفة الفلسفيون | 48 |
| 3. التصوف بين العهد المرابطي والعهد الموحدي | 49 |
| **3.1**. موقف السلطة المرابطية من المتصوفة | 49 |

| | |
|---|---|
| 3.1.1. موقف السلطة المرابطية من التيار الصوفي المسالم وسياسة الاحتواء | 49 |
| 3.1.2. موقف السلطة المرابطية من التيار الصوفي الثوري وسياسة القمع | 50 |
| **3.2**. موقف السلطة الموحدية من المتصوفة | 53 |
| 3.2.1. موقف اللين والاحتواء(أسبابه ومظاهره) | 53 |
| 3.2.2. موقف العنف والقمع (أسبابه ومظاهره) | 59 |
| 4. علاقة أبو مدين شعيب بالمنصور وأسباب اهتمام هذا الأخير به | 65 |
| 4.1. أهم المتصوفة في العهد الموحدي | 65 |
| 4.2. علاقة أبو مدين بالمنصور | 66 |
| 4.3. سلطة أبو مدين الروحية وانعكاساتها السياسية | 74 |
| الخاتمة | 78 |
| الملاحق | 82 |
| قائمة المصادر والمراجع | 85 |

# مقدمة

**مقدمة**

يعتبر التاريخ الإسلامي لدى الباحثين، وبخاصة المسلمين منهم بابا من أهم الأبواب التي يجب تدارسها وتداركها والعناية بها تحقيقا وتصحيحا ونشرا، فالاطلاع على التاريخ المذهبي وقيام الدول والأمم يساعدنا بلا شك على فهم الأحداث، وتفسير المواقف، وتحليل الأفكار، كما أن التنقيب في التاريخ المذهبي يجيبنا على مجموعة من الإشكاليات التاريخية.

وخلال العصر الاسلامي شهد الغرب الاسلامي والاندلس تحولات سياسية ومذهبية واضحة نتيجة للحركة العلمية والثقافية الواسعة، التي شهدتها المنطقة مع القرن (6هـ / 12م)، ومن بينها حركة التيار الصوفي الذي وجد فضاء واسع للنشاط في ظل قيام الدولة الموحدية.

لقد لعب التيار الصوفي دورا بارزا في الحياة الاجتماعية والثقافية ، ففي الأولى كسب المتصوفة فئة شعبية من خلال القيام بأعمال تهدف الى إصلاح المجتمع ومساعدته في شؤونه العامة، أما من الناحية الثقافية فقد لعب التيار الصوفي دورا بارزا من خلال الإهتمام بالتعليم، ومن هذا المنطلق نطرح الاشكالية التالية.

**الاشكالية :**

- **طبيعة العلاقات التي ربطت التيار الصوفي بمختلف اتجاهاته بالسلطة الموحدية في بلاد المغرب الإسلامي في القرن6هـ والأهمية السياسية لأبي مدين شعيب تحديدا.**

وقد نتج عن التأمل في هذه الاشكالية الأساسية اقتراح اشكاليات فرعية وظيفتها مساعدتنا في مقاربة الموضوع واستكشافه ومن ثمة الاجابة على الاشكالية المذكورة آنفا.

- . ماهية تركيبة المجتمع الموحدي في القرن6هـ.
- . الأوضاع السياسية والاقتصادية للدولة الموحدية.

- . البحث في حياة ابي مدين والسياقات التي تطورت فيها شخصيته ومعرفته حتى تحولت الى الشخصية المشهورة.
- . البحث في مكانة أبي مدين عند العامة وأثرها في علاقته بالسلطة الموحدية وانعكاساتها عليه.
- . فرز المواقف المختلفة التي تبناها شيوخ المتصوفة من السلطة وتفسير اختلاف مواقفهم.

**استعراض خطة العمل :**

للإجابة عن هذه الاشكاليات رسمنا خطة موسعة لتغطية مشهد العلاقة بين المتصوفة والسلطة في الغرب الاسلامي خلال العصر الموحدي اصولا وفروعا وسلوكا، فارتأينا تخصيص فصل لكل مشهد من مشاهد التطورات الحاصلة في السلطة الموحدية وعلاقتها بالمتصوفة، ويندرج تحت كل فصل عناصر بحسب الاشكالية المطروحة، ولكي نلتمس مشاهد العلاقة بين المتصوفة والسلطة خلال العصر الموحدي خصصنا:

- **الفصل الأول**: المعنون بالوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للدولة الموحدية في القرن (6هـ) وحركة المتصوفة خلالها حيث تطرقنا أولاً الى تمهيد حول نشأة الدولة الموحدية في المغرب والأندلس، ثم درسنا الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وحركة المتصوفة في هذه المجالات خلال الحكم الموحدي.
- **الفصل الثاني**: وعنوانه أبو مدين شعيب من النشأة الى الوفاة، تطرقنا فيه الى التعريف الكامل بهذه الشخصية مع تتبع مسار حياته العلمية وشيوخه وتلامذته إلى وفاته.
- **الفصل الثالث**: تحت عنوان علاقة المتصوفة بالسلطة الموحدية تطرقنا فيه الى علاقة المتصوفة بالسلطة خلال فترات القوة والضعف وطبيعة العلاقة التي تميزت بها كل فترة كما تعرضنا بالأخص لطبيعة العلاقة بين السلطة وأبو مدين شعيب وتحديد المواقف المتبادلة بين الطرفين.
- **الخاتمة**: وقد حوصلنا فيها أهم النتائج التي خرجنا بها من البحث.

**دواعي اختيار الموضوع :**

حب الرغبة والاطلاع في التاريخ الاسلامي عامة وتاريخ الغرب الاسلامي خاصة بحكم انتمائنا للمنطقة.

الرغبة في تقديم صورة متكاملة عن الدولة الموحدية وعلاقتها بالمتصوفة ضمن عمل واحد يشمل الاصول و الفروع.

ولا شك ان تخريج موضوع يجمع حياة السلطة والمتصوفة خلال العصر الموحدي بمظاهرها وخلفياتها وانعكاساتها من شأنه ان يوجه الباحثين المهتمين بهذا الموضوع، ويفتح المجال امام المتخصصين الراغبين في تعميق تصوراتهم وفق خريطة حياة السلطة والمتصوفة خلال العصر الموحدي.

كما ان التجربة السياسية والصوفية تجربة نموذجية للدراسة، وتلمس دور السلطة والمتصوفة في تغير الاوضاع في تلك الفترة.

كما ان رغبتنا في اختيار هذا الموضوع جاءت بهدف محاولة تغطية النقص الذي ما زال يشكو منه البحث في تاريخ المغرب.

**منهج البحث :**

بما اننا استهدفنا من خلال هذا العمل وصف التطورات والتحولات بين السلطة والمتصوفة خلال العصر الموحدي، وموقف السلطة من المتصوفة منها، فإننا لم نلتزم منهجا واحدا اثناء العمل بل اعتمدنا منهج يجمع بين الاستقراء والتفسير، والمقارنة والاستفسار، للوقوف على حيثيات العلاقة بين السلطة والمتصوفة في الغرب الاسلامي خلال العصر الموحدي، فالاستقراء وظفناه في تتبع جزئيات الموضوع وجمعها واعادة ترتيبها وفق اهداف الموضوع، ثم التحليل الذي يمكننا من فهم نصوص المؤرخين آراء الدارسين، اما المقارنة فقد وظّفناها عند الجمع بين النصوص والنصوص المخالفة لها، للوقوف على اوجه الخلاف والوفاق.

**أهم المصادر والمراجع المعتمدة ونقدها:**

لتحرير العمل تتبعتنا مادة الموضوع في مضامينها، لاسيما المصادر الموحدية، ومصادر التاريخ العام المغربية خاصة **المعزى في مناقب الشيخ** أبي يعزى لأحمد التادلي **وأخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين** للبيذق و **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي** لابن الزيات التادلي هذا عن أهم المصادر. بالإضافة الى جملة من المراجع العربية من اهمها **النشاط الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي خلال القرن6هـ/12م** لصاحبه احمد موسى عز الدين، **الحضور الصوفي في الاندلس والمغرب الى حدود القرن7هـ** للبختي جمال علال، **الاسلام السري في المغرب العربي** لبوتشيش ابراهيم القادري **التصوف في الجزائر خلال القرنين6-7هـ/12-13م** للطاهر بونابي. وهي في مجموعها تتطلب تتبعًا واستقراءاً واستنتاجًا لانتقاء ما يُمكن أن يخدم الموضوع، وبالرغم من حصولنا على مجموعة قيمة من المصادر والمراجع الا انها لم تتطرق الى صلب الاشكالية المطروحة بعمق بل اشارت اليها اشارات فقط، سواء في طبيعة العلاقة بين المتصوفة والسلطة، ورحلات ابو مدين شعيب، والاسباب الحقيقية لاستدعاء المنصور لأبي مدين شعيب.

أما عن الصعوبات التي واجهتنا يمكن حصرها في تداخل المعلومات وتشابهها في معظم المصادر والمراجع مما عرّضنا إلى صعوبة في تحرير المعلومات وانتقائها.

وفي الأخير يسَّر الله تعالى لنا إخراج هذا العمل بهذه الصورة، باعتباره محطة من محطات التكوين وليس منتهى البحث ولا غاية التكوين.

# مدخل

## نشأة الدولة الموحدية في المغرب والأندلس

**مدخل:**

ترجع نشأة الدولة الموحدية في أول مراحلها الى محمد بن تومرت **الهرغي**[1]، الذي أنشأ جماعة الموحدين في " **تينملل**" [2]، وقرب هذا الموضع أقام محمد بن تومرت سورا حول المكان الذي أراد أن يجعله مركز أعماله فكان يقع عند سفح الجبل، ومن هذا الموضع الحصين أخذ يناوش النواحي القريبة منه من البلاد الخاضعة للمرابطين[3].

وفي سنة (514هـ/1199م) أرسل **محمد بن تومرت**[4] جيشا عُدّته أربعين ألفا من الموحدين نحو مراكش عاصمة المرابطين على رأس هذا الجيش **عبد المؤمن بن علي**[5]، لكن هُزم هذا الجيش أمام جيش المرابطين وهلك عدد كبير من كبار الموحدين في هذه المعركة التي سميت بيوم البحيرة [6]، وبعد هذه هزيمة بأيام قليلة توفي محمد بن تومرت (524هـ/1209م) بعد أن سلم قيادة الحركة لعبد المؤمن بن علي، وأعلن خبر وفاته بعد ثلاث سنوات من ذلك بعد أن تأكد لبعد المؤمن بن علي وأبي حفص أن السلطة قد انتقلت اليهم

---

[1] – ولد سنة 485هـ/1092م، اتجه الى الدراسة وطلب العلم، فدرس في بلده، ثم في مراكش، وفي حوالي 506هـ/1112م سافر الى المشرق ينظر: يوسف علي بديوي: **عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد الى السقوط**، ط1، دار الأصالة ، الجزائر ،2010م ص ص 192.163.

[2] – وهو موضع في قلب جبال الأطلس قريب من منابع وادي نفيس.

[3] – نفسه، ص166 .

[4] – هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو بهذا أدّعى النسب الشريف، وينسب إلى قبيلة مرغة مصمودة، ولد سنة 471هـ/1078م بجبل السوس في أقصى بلاد المغرب، ينظر ابن قنفذ القسنطيني: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تح. محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر تونس، 1968م ص. 99، وكذلك ينظر: ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح. إحسان عباس، مج 5، دار الثقافة، بيروت، د ت، ص ص45.46.

[5] هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي ، ينتمي إلى بني مجبر بطن من قبيلة بني عابد إحدى قبائل ذومية، ولد بقرية تماجورة ساحل تلمسان غربي مصب وادي التافنا سنة 487هـ/1095م بويع بالخلافة سراً بعد وفاة المهدي بن تومرت، وتوفي برباط الفتح سنة 558هـ/1163م ينظر: البيذق: **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1971م، ص 29.

[6] – حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ط1، دار الرشاد، دب، 1992م، ص ص 208 .209.

فأخذ عبد المؤمن يجمع الصفوف وينظم الحركة، وفي سنة 533هـ/1139م بدأ التصادم العسكري بين الموحدين والمرابطين مرة أخرى وبين عبد المؤمن بن علي ويوسف بن تاشفين، وقد شغل عبد المؤمن نفسه خلال هذه السنوات بالاستيلاء على الحصون المرابطية في طريقه الى مراكش فتمكن من بسط سلطانه على مساحة واسعة في المغرب الأوسط، وفي سنة (537هـ/1143م) توفي علي بن يوسف وخلفه ابنه تاشفين فتشجع عبد المؤمن ومن معه من الموحدين على مهاجمة المرابطين خاصة وأن تاشفين بن علي كان شابا قليل التجربة، وفي سنة (539هـ/1145م) التقى جيش الموحدين والمرابطين في وهران فانهزم جيش المرابطين وسقطت وهران في يد الموحدين، وقُتل ابن تاشفين وخلفه اسحاق بن علي بن تاشفين وتمكن الموحدين من السيطرة على وهران وتلمسان وأخذ بناء دولة المرابطين يتداعى تحت ضغط الموحدين المتوالي عليهم بعد حرب طويلة وحصار دام تسعة أشهر استطاع عبد المؤمن بن علي السيطرة على فاس سنة (540هـ/1146م) وبعد ذلك سُهل الدخول الى مراكش بعد أن سيطر على مناطق المرابطين فقتل اسحاق بن علي بن تاشفين سنة (541هـ/1147م) وبذلك انتهت دولة المرابطين وبدأت بلاد المغرب تعيش فترة جديدة تحت حكم الموحدين الذين وصل سلطانهم الى ساهل البحر الأبيض المتوسط وجزء كبير من المغرب الأوسط والمغرب الأقصى كله من البحر المتوسط الى وادي دركة، هذا عن نشأة دولة الموحدين في المغرب [1].

[1] – ليلى أحمد نجار: "المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي دراسة تاريخية وحضارية"، (بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي)، إشراف الدكتور أحمد السيد درّاج، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، 1989م، ص ص37 .38.

أما عن نشأتها في الأندلس فقد كان وصول وسيطرة الموحدين على أجزاء من الأندلس في فترة حكم عبد المؤمن بن علي سنة (552هـ/1157م) بعد أن سقطت المرية في يد "ألفونسو السابع بن ريموند" سنة (551هـ/1156م) فثبت الموحدون لاسترجاعها، وتحالف ألفونسو مع محمد بن سعد بن **مردنيش**[1] من أجل رد هجوم الموحدين الذي كان يقود جيشه ابو سعيد عثمان بن عبد المؤمن الذي ولاه ابوه أشبيلية، ولما رأى ابن مردنيش استبسال المسلمين في استعادة المرية انصرف عن حليفه ألفونسو، ووجد الأخير نفسه وحده أمام جيش الموحدين فسلم البلدة وولى هاربا ولم يلبث أن قتل وكان ذلك سنة (552هـ/1157م)[2].

[1] – **مردنيش**: ينتسب الى اصول عربية، وكان والده سعد بن محمد واليا للمرابطين على أفراغة بالاندلس، ينظر:علي محمد الصلابي: **صفحات من التاريخ الاسلامي في الشمال الإفريقي دولة الموحدين**، ج5، د ط، دار البيارق للنشر، الاردن، 1998م، ص142.

[2] – يوسف علي بديوي: المرجع السابق، ص 176.

# الفصل الاول

## الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للدولة الموحدية خلال القرن (6ه)

- الوضع الاجتماعي
- الوضع الاقتصادي
- الوضع السياسي
- الأزمات التي واجهت الدولة الموحدية

## الوضع الإجتماعي للدولة الموحدية في القرن(6هـ)

### 1. فئات المجتمع الموحدي:

تشكّل المجتمع الموحدي من عدة فئات وشرائح، فوجد فيه الغني والفقير العالم والجاهل، وكان لكل شريحة دورها الكبير في المجتمع، إذ اختصت كل فئة بمهن وأعمال معينة، فكانت تتكامل أعمال كل شريحة مع أعمال الشرائح الباقية الأمر الذي أعطي دفعا جديدا لتطور المجتمع وازدهاره.

#### 1.1. الفئة الحاكمة:

انحصرت السلطة الموحدية في أسرة عبد المؤمن بن علي وبنيه من بعده، كذلك الشأن في الوزراء والولاة إذ كان جلهم من نفس الأسرة الحاكمة[1]، وكان لقبيلة كومية مكانة خاصة في دولة الموحدين حيث اتخذ عبد المؤمن من أفرادها بطانة له، ومن بينهم كان وزيره عبد السلام بن محمد الكومي، واستوزر ابنه عمر وبقي كذلك إلى أن مات عبد المؤمن، وبهذا فإن أسرة بني عبد المؤمن وقبيلته كومية شكلوا أهم فئة في المجتمع في عهد الموحدين[2].

#### 1.2. فئة الطُّلْبة:

تميز المجتمع الموحدي ولاسيما في عهد عبد المؤمن بن علي بوجود ثلاث فئات من الطُّلْبة (بظم الطاء وسكون اللام) وكان لكل منها دور تميز به: فالطُّلْبة الحُفاظ أشرف عبد المؤمن على تعليمهم وتدريبهم، ثم الطُّلبة المصامدة ومهمتهم نشر الدعوة وطُلبة الحضر المشتغلين بالعلم في العاصمة والقادمين إليها بناءا على رغبة ولاة الأمر[3]، وكان للطُّلبة شيخ هو رئيسهم وممثلهم أمام الخلفاء، وكانت له مكانة عندهم تعادل مكانة

[1]- ليلى أحمد نجار: المرجع السابق، 1989م، ص.405.

[2]- شرقي نوارة: "الحياة الإجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين"، (مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط)، إشراف الدكتور عبد العزيز محمود لعرج، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008م، ص 86.

[3]- ، ليلى أحمد نجار: نفسه، ص ص406.407.

الوزير في تلك الفترة وهذا يعني أن هذه الفئة تمتعت بمكانة مميزة وخاصة عند الخلفاء والولاة، حتى أنهم كانوا يشهدون جنازاتهم وغالبا ما أظهروا لهم الاحترام والتبجيل[1].

### 1.3. فئة الفقهاء والعلماء:

اجتهد الخلفاء الموحدون في استجلاب أكبر عدد من الفقهاء والعلماء إلى حضرتهم في مراكش وخاصة من الأندلس التي حذق أهلها في جل الفنون العلمية منها والأدبية والكثير من العلماء الذين نزلوا بمراكش، كان نزولهم بناء على رغبة الخلفاء في حضورهم، ومع هذا وجد الكثير منهم من هاجر إلى المغرب مرغما خاصة في أواخر القرن (6هـ)، حيث بدأت الحواضر الأندلسية تسقط في أيدي النصارى الواحدة تلو الأخرى[2]، ويعتبر القضاة من أهم رجال الدولة الموحدية لاحتلالهم منصبا مهما له دور كبير في إحلال العدل وفرض القوانين في المجتمع، ولهذا فقد كان القضاة يختارون بحذر للاشتغال بهذا المنصب فكانوا من أفضل العلماء وأجل الفقهاء في تلك الفترة [3]، وكانت كلمة القاضي مسموعة عند الخلفاء، وقد استخدم الموحدون قضاة من المغرب والأندلس، وتولى الخليفة بنفسه مهمة اختيار القضاة وتعيينهم من بعد استشارة الفقهاء طبعًا[4]، وقد أعطى المنصور الموحدي للقضاة إلى جانب مهامهم القضائية الحق في مراقبة العمال والولاة لعلمهم بأحكام الشريعة، وألزم جميع الولاة والعمال الخضوع لأوامرهم[5]، أمّا بالنسبة لعزل القضاة فعلى الرغم من تحري الخلفاء الدقة التامة في اختيار القضاء لم يخل من عزلهم لبعض القضاء لسوء تصرفهم[6].

---

[1]- شرقي نوارة: المرجع السابق، ص. 89.

[2]- نفسه، ص. 93.

[3]- جمال طه: **الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي عصري المرابطين والموحدين**، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، 2004ص. 104.

[4] - ليلى أحمد نجار: المرجع السابق، ص ص 362 .363.

[5] - حسين علي حسن : **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين**،ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1980م، ص. 166.

[6] - نفسه، ص. 170.

### 1.4. فئة أصحاب الحرف والصنائع:

شهد المغرب ازدهارا وتقدما في مجال الصناعة، وكوّن الصنّاع شريحة لها مكانتها في الدولة، إذ حافظ عبد المؤمن بن علي على استمرار عطائهم والانتفاع بخدماتهم[1] وضمت فئة الصّنّاع العديد من المهن منها على سبيل المثال: صناعة حياكة الملابس القطنية والصوفية وحتى الكتانية، وصناعة المنتوجات الخشبية، وصناعة الأدوات الفخارية، ووجد أيضا الحدّادون والخبّازون والدقّاقون الذين يقومون بطحن الدقيق وصانعو القدور والأطباق وأدوات الطبخ المختلفة ووجد الصّباغون، والصّاغة، والبلاّجون (صُنّاع الاقفال)، والبنّاؤون، وقد تنوعت الصناعات بقدر تنوع احتياجات النّاس، ولكثرة احتياجاتهم فقد كثرت الحرف والصناعات، إضافة إلى إمتهان العامة مهن مختلفة أخرى كالتجارة، و الزراعة التي يعتبر ممتهنوها من أهم الشرائح [2].

### 1.5. فئة المتصوفة:

عرفت هذه الفئة ازدهارا كبيرا في عهد الموحدين، فقد كانت فترة حكمهم بمثابة الاعتراف الرسمي بهذه الفئة ورجالها [3]، وهذا يعود إلى الدور الكبير الذي لعبه المتصوفة في الحياة الاجتماعية في أغلب الحواضر المغربية والأندلسية، ويذكر صاحب المعجب أن المتبتّلين والصلحاء انتشروا في كافة أنحاء المغرب في عهد الموحدين وكانت تربطهم بالخلفاء والولاة علاقة طيبة، وهذا يعود إلى التكوين الديني الجيد للخلفاء الموحدين وارتباطهم الوثيق بالدين[4]، وتمكن المتصوفة من كسب تعاطف فئات المجتمع الدنيا إلى جانبها مع ما يقومون به من أعمال كانت سببا في التفاف شرائح المجتمع حولهم[5]، مثلما حصل مع أهل بجاية لما أصابتهم مجاعة أوائل القرن (7هـ/13م)، وامتلأت شوارع المدينة بالمعوزّين والمتشردين الذين يفتقدون إلى المأوى والمأكل والملبس، ولم

[1] – ليلى أحمد نجار: المرجع السابق، ص 411.

[2] – شرقي نوارة: المرجع السابق، ص ص 109 .110.

[3] – الطاهر بونابي: **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 هـ/12و13م**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004م، ص ص 276 .278.

[4] – أبو محمد عبد الواحد بن علي المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ط1 ، المكتبة العصرية ، بيروت، 2006م، ص 272.

[5] – شرقي نوارة: نفسه، ص ص 101.100.

يتحرك والي الموحدين ولا أغنياء المدينة ولا أعيانها للتخفيف من معاناة الفقراء فحمل الصوفي أبو زكريا يحي الزواوي (ت611هـ/1615م) على عاتقه مسؤولية إعالة هؤلاء المعوزين والتكفل بهم فلجأ الى جمع المعونات من أغنياء المدينة واكترى فندقا بثلاثمائة دينار، جمع فيه الفقراء والمساكين، واشترى لهم ما يكفيهم من الطعام واللباس الى أن انجلت الأزمة في العام الموالي، فانصرفوا الى مواضعهم[1]، كما كان " أبو يعقوب يوسف الكومي" (عاش في القرن 6هـ) يساعد الفقراء ويبعث روح الشفقة في نفوس الأغنياء لمساعدة المعوزين[2]، بينما أكثرية الصوفية كانوا يرون أنّ الإعتماد على مساعدة المعوزين والمحتاجين على ما تدرّه هبات الدولة وأعطيات الأغنياء لا يؤدي إلى حل جذري للأزمة التي تشد بخناق المحتاجين، فبادروا بالعمل في حقول مختلفة لتوفير احتياجات المعوزين[3]، ومن الأمثلة على ذلك أنّ " أبا النجم هلال بن يوسف الغبريني" كان يتصدق بغلال أرضه[4]، بينما بسط " أبو داود الوجهاني" يده فكان يتصدق بأكثر غلاله ولا يتناول منها إلاّ القليل[5] بالإضافة إلى ما كان يقوم به " أبو العباس السبتي" من حث الأغنياء على الصدقة، حيث أنّه عندما أصاب مدينة مراكش قحطا إتصل بصاحب دار الإشراف، وهي الدار التي كانت مخصصة لجمع الضرائب فطلب منه أن يتصدق بما فيها على المعوزين والفقراء والمحتاجين[6]، والى جانب ذلك فقد سعى بعض الصوفية الى قضاء حوائج العامة، حيث يظهر دورهم في المجتمع خاصة في أوقات الشدة (كتسلط أعوان السلطة وغيرهم) فكان يهرع إليهم العوام لتفريج كربتهم، باعتبارهم ملجأهم الأخير، وبهم يستسقون ويستغيثون بحثا عن حل لمشكلاتهم من خلال تدخلهم للتخفيف من الضرائب واللوازم المخزنية والتوسط بين الحاكمين والمحكومين في القضايا الحساسة

[1] – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص. 188.

[2] – الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح. رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،1970م، ص 151.

[3] – الطاهر بونابي: نفسه، ص189.

[4] – الغبريني: نفسه، ص ص169.170.

[5] – نفسه، ص 255.

[6] – ابراهيم القادري بوتشيش: **الإسلام السري في المغرب العربي**، ط1، سينا للنشر، القاهرة، 1995م، ص ص 147.146.

بالإضافة الى الدور الذي قاموا به في تنقية المجتمع من بعض الشوائب العالقة به كاللصوصية، وعادة شرب الخمر وبيعه، وفضح الزنادقة والمعتدين والسعي لهلاكهم في بعض الأحيان والتوسط في النزاعات القبلية[1]، ومن خلال هذه الأمثلة نلاحظ أنّ الأغنياء، خاصة في بجاية وتلمسان كانوا يمتثلون للمبادرات الإجتماعية والإقتصادية التي يتزعمها الصوفية لإنقاذ المعوزين من الجوع[2]، ومن هؤلاء المتصوفة أبو مدين شعيب الذي كان فقيها عالما كثير الإعتكاف والعزلة.(سنتطرق له بالتفصيل في الفصل الثاني).

وعلى الرغم من طابع الزهد والتقشف الذي عرفه المتصوفة في العهد الموحدي، إلّا أنهم زاولوا الكثير من المهن، فاعتمدوا على أنفسهم في كسب عيشهم[3]، حيث كان الكثير منهم من فئة الحرفيين البسطاء كالخياطين والجزارين والخرّازين والحاكة والناسخين، أو تجار بسطاء من دون حانوت أو رأس مال تقريبا، كما انصرف عدد من المتصوفة إلى النشاط الفلاحي والحيواني مثل " أبو خرز يخلف" الذي عمل بحرث الأرض، و "أبا اسحاق بن إبراهيم بن كنون" الذي كان يكتسب قوته من عسل النحل[4].

وهناك من المتصوفة من كان ينتمي إلى الطبقة الوسطى من المجتمع (موظفوا دولة، ملاك، تجار...) فالشيخ عبدالله بن مسعود الهواري كان قاضيا بفاس، و" علي بن حرزهم" كان لأبيه أملاك بخولان، أمّا "الشيخ عبد الرحمن بن خنوسة" فكان يملك جنانا، و" الحسن بن ست الأفاق" كان له مال أنفقه على أهل الفضل والدين في بناء القناطر وعمارة المساجد[5].

---

[1] – أبو عبد الله التميمي الفاسي: **المستفاد في مناقب العبّاد بمدينة فاس وما يليها من البلاد**، تح. محمد الشريف، ط1، مطبعة طوب بريس الرباط، 2002م، ص 216.

[2] – كمال دحومان الحسيني: **أشراف الجزائر ودورهم الحضاري في المجتمع الجزائري**، ط1، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، 2009م ص60.

[3] – ابن الزيات: **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تح. أحمد توفيق، ط2، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1997م ص 70.

[4] – نفسه، ص 330.

[5] – التميمي: نفسه، ص197.

وكانت مهنة التعليم الوظيفة الأكثر ممارسة من قبل الصوفية سواء في المدارس السلطانية أو الزوايا الصوفية، وغالبا ما كان أولئك المتصوفة يؤدون تلك الوظائف دون مقابل، ويرفضون العائدات السلطانية، أو يقتصرون على أخذ القليل منها[1]، ولم يقتصر أمر تدريسهم للعلم على الحواضر فقط، وإنّما نجد منهم من رحل إلى القرى والمناطق النائية للمساهمة بنصيب كبير في نشر العقيدة الإسلامية بين القبائل البدوية البربرية[2]، وهناك من المتصوفة من حضي بمكانة مرموقة لدى الأمراء وأرباب الدولة، مثل "أبو العباس الخزرجي" الذي أسند إليه الخليفة الموحدي "أبو يعقوب" خدمة الخزانة العليا والتي كانت من المناصب الجليلة[3]، غير أنه ما يلفت النظر أنّ هؤلاء المتصوفة إبان العصر الموحدي كانوا يرفضون تولي مناصب عليا، وتخلوا عنها فور إنتحالهم التصوف[4] حيث عرض على "أبي عبدالله بن شعيب" القضاء فامتنع عنه[5]، و"أحمد الاريني" الذي كان عاملا بمدينة فاس ثم تاب من ذلك[6].

ومن هنا يظهر لنا أنّ المتصوفة لم يعيشوا حياة عزلة صرفة تماما، بل كانت لهم إسهامات في مختلف الجوانب الدينية والإجتماعية والسياسية، كما أنّ الإقبال الشعبي عليهم، وحرص هؤلاء على نشر التعاليم الصوفية كان له أثره في تعريب ما تبقى من سكان بلاد المغرب، والمساهمة في نشر التعاليم الإسلامية[7] بإسهامهم في تحفيظ القرآن الكريم، أو عن طريق تشييد المساجد بالبوادي[8].

---

[1] – بوداود عبيد: **ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين (7–9هـ/13–15م)**، دار الغرب للنشر والتوسيع، وهران، 2003م ص76.

[2] – التميمي: المصدر السابق، ص ص201.203.

[3] – ابن فرحون المالكي: **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح. مأمون بن محي الدين الجنّان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ص 118.

[4] – التميمي: نفسه، ص 198.

[5] – الغبريني: المصدر السابق، ص 173.

[6] – نفسه، ص، 196.

[7] – بوداود عبيد: نفسه، ص 259.

[8] – التميمي: نفسه، ص 212.

## الوضع الإقتصادي للدولة الموحدية في القرن (6هـ)

### 1. الزراعة:

اهتم الموحدون بالزراعة في المغرب اهتماما كبيرا نتج عنه وفرة الانتاج الزراعي[1] ، ومن جهود الخلفاء في سبيل ذلك ما قام به عبد المؤمن من جلب المياه الى مراكش وسلا والرباط ، وما قام به أبو يعقوب من توفير المياه لإشبيليه وفاس وسبتة والرباط وما قام به المنصور من توفير مياه الري لمدينة فاس، كما بنى الموحدون الصهاريج لحفظ المياه في داخل مراكش وخارجها، فانتشرت البساتين في كامل أرجاء الدولة [2] مثلما هو موجود من بساتين في طرابلس وقابس وصفاقس وقرطاجنة وبجاية[3]، وقد حرص المنصور على احترام ملكية الأفراد الخاصة للأراضي الزراعية، أمّا الأراضي الخاصة بالدولة فقد وضع لها مشرف خاص وكان هذا في عهد عبد المؤمن بن علي في فاس، أمّا في عهد المنصور فقد جعلوا لها ديوانا خاصا بها ولتشجيع الزراعة قام هذا الأخير بمنح أراضي إلى بعض الأفراد لاستثمارها[4]، ويذكر الونشريسي أنّ من أهم الأراضي والإقطاعات الزراعية في المغرب مايلي:

1. **الأراضي الموات:** وهي الأراضي البور التي يقطعها السلطان أو ولي الأمر لمن يحييها ويزرعها.
2. **أراضي الظهير:** وهي التي تتوفر بإفريقية ـ على وجه الخصوص ـ وكان يقطعها سلاطين الدولة الحفصية لمن يؤدي خدمات للدولة، وكان إعطاء ارض الظهير "إعطاء منفعة لا إعطاء رقبة" بمعنى أنها إذا أقطعت لشخص ما وتوفي أقطعت لغيره ولا يورث عنه، فهي منفعة لصاحب الإقطاع فحسب دون ورثته.

---

[1] – حسين علي حسن: المرجع السابق، ص ص 232 .236.

[2] – لأكثر تفصيل ينظر: كمال السيد ابو مصطفى: **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الاسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية 1996م، ص 57.

[3] – حسين علي حسن: نفسه، ص 236.

[4] – ليلى أحمد نجار: المرجع السابق، ص ص 431 .432.

3. **الأراضي الموظفة:** وهي الأرض التي فرض عليها وظيف ( أي ضريبة ) للدولة، ويلاحظ انه في حالة شراء تلك الأرض لا يلزم المشتري دفع الوظيف إلا من يوم الشراء فما بعده وليس قبل ذلك.

4. **الأرض القانونية:** وهي الأرض التي يقطعها ولاة الأمر لأفراد نظير خدمات قدموها للدولة، ولكنها تتميز بأنها ملكية خاصة لهؤلاء الأفراد، و يجوز بيعها وتوارثها[1].

**2. الصناعة:**

ساهمت الصناعة في ازدهار الناحية الإقتصادية لبلاد المغرب والأندلس، ونتيجة لما نعمت به البلاد من أمن ورخاء، ومع توفر المواد الخام والأيدي العاملة شهدت البلاد في ظل المرابطين والموحدين نهضة صناعية عظيمة قامت على سد احتياجات البلاد، فاشتهرت بالعديد من الصناعات مثل الصناعة المعدنية والمنسوجات والزجاج والحلي والعطور وغيرها، وكانت الركيزة الأساسية لقيام الصناعات في عصر المنصور توفر المواد الخام إمّا معدنية أو نباتية أو حيوانية، ثم توفر الأيدي العاملة في تلك الصناعات، ولذلك حظي عصره بنهضة صناعية كبيرة[2]، كما ازدهر المغرب والاندلس بشكل ملحوظ بصناعة الزيوت والصابون نظرا لوجود الزيتون وبعض أنواع الحبوب التي يستخرج منها الزيت، ويكثر قصب السكر في بلاد السوس خاصة عن غيرها وترتب على ذلك وجود المعاصر لإنتاج السكر[3]، وازدهرت في عصر المنصور الموحدي صناعة الأواني، وتنوعت المواد الخام المستخدمة في صناعتها إلى جانب اختلاف المدن التي وجدت فيها[4]، أما صناعة الكاغد فقد اشتهرت بها مدينة فاس التي كان يصنع بها الورق المغربي الذي كان يتميز بالجودة والبياض الناصع، الى جانب الكاغد الرومي الذي كان يصل الى المغرب عن طريق بلاد الروم[5].

---

[1] – كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص ص 63.62.

[2] – ليلى أحمد نجار: المرجع السابق، ص 438.

[3] – نفسه، ص 445 .446.

[4] – نفسه، ص449.

[5] – كمال السيد أبو مصطفى: نفسه، ص 69.

### 3. التجارة:

عمل خلفاء الدولة الموحدية على تنشيط التجارة داخليا وخارجيا للرقي بالبلاد، ومنهم المنصور الذي اهتم بإنشاء الفنادق في قصر صنهاجه، ومراكش لنزول التجار، كما قام بمعاقبة المعتدين مثلما فعل مع أخيه أبي حفص الرشيد والي مرسيه الذي تسبب في مضايقة التجار وأخذ أموالهم[1]، وقد قامت مدن المغرب بتسويق منتجاتها فيما بينها وبين الاندلس وغيرها من البلدان[2]، حيث كانت مدن المسيلة وقلعة بني حماد وورجلان وتقرت قبل القرن (6هـ/12م) مراكز تجارية ومعابر لحركة التجار بين المغرب والمشرق وبلاد السودان[3] ولمّا تعرضت هذه المدن إلى التخريب من طرف العرب الهلالية [4]، انتقل مركز الثقل الإقتصادي خلال القرن (6هـ/12م) إلى بجاية وتلمسان اللتين أصبحتا بيئتين صالحتين لنشوء التصوف، فساد الثراء في بجاية واختلّ فيها التوازن الإجتماعي لصالح الأغنياء والتجار[5]، وهذا ما أدى إلى ظهور المتصوفة الذين جاءوا بأفكار تدعوا إلى الزهد في المال، وتطرح سبل الوصول إلى انتزاع شواغل الدنيا وحب المال من قلب الإنسان[6].

ولكي نلمّ إلماما تاما بالأوضاع الإقتصادية للموحدين لا بدّ لنا من الحديث عن السكة وما نالته من عناية المنصور، فعندما قامت الدولة الموحدية اتخذت عملة نقدية لها من الدراهم والدنانير[7]، وكان عبدالمؤمن بن علي أول من ضرب عملة مربعة من الدراهم والدنانير، ونقش أبو يعقوب اسمه عليها[8]، وفي عهد المنصور

---

[1] – ليلى أحمد نجار: المرجع السابق، ص451.

[2] – نفسه، ص453.

[3] – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 90.

[4] – ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الفكر، ج6، بيروت 2000 م، ص 103.

[5] – الغبريني: المصدر السابق، ص 80.

[6] – نفسه، ص 66.

[7] – كانت عملة المرابطين النقدية مدورة الشكل. عن ذلك ينظر: حسن علي حسن: المرجع السابق، ص ص225 .227.

[8] – ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، مج 6، دار الثقافة، بيروت، د ت، ص130.

نسبت إليه الدنانير اليعقوبية [1]، وكان الدينار الموحدي القديم صغير الحجم، صغير الوزن، لا يعدو وزنه القانوني بحسب الوزن الحديث جرامين وخمسة وثلاثون في المائة من الجرام، فأمر المنصور بمضاعفة وزنه وأخرجت دار السكة الموحدية بمدينة فاس، الدينار الجديد بوزن أربع جرامات وسبعين في المائة من الجرام، فكان لذلك الإجراء أثر بالغ في بث الطمأنينة المالية، واستقرار التعامل بين الناس[2].

وفي نهاية حديثنا عن الناحية الإقتصادية في عصر المنصور بالخصوص وما كانت عليه من ازدهار وتقدم لا بدّ أن نشير إلى بعض الأزمات الإقتصادية التي أصابت بعض مدن المغرب في عهد المنصور، ومع ذلك لم تكن عائقا أمام التقدم والازدهار الذي عاشته البلاد في عهده، ومن هذه الأزمات على سبيل المثال في سنة 589 هـ/1193م وقيل سنة 590 هـ/1193م أصيبت سجلماسة بسيل عارم، وفي سنة 591 هـ/1194م أصيبت مدينة سبته بقحط شديد أضرّ بأهلها، وفي سنة 595 هـ/1198م أصيبت مدينة فاس بمجاعة كبيرة[3]، هذه الأزمات كانت عاملاً من عوامل ظهور الثورات في الدولة الموحدية كما سنرى لاحقا.

[1] – ابن خلكان: المصدر السابق، مج 6، ص 12.

[2] – محمد عبدالله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس عصر الموحدين**، ج5، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص144.

[3] – ليلى أحمد نجار: المرجع السابق، ص 469.

## الوضع السياسي للدولة الموحدية في القرن (6هـ)

لقد اكتسب المهدي بن تومرت وهو بالمشرق سعة في الأفق السياسي بما عايشه من حكم الدولة الفاطمية التي كانت تمزقها الخلافات المذهبية وحكم الدولة العباسية، فكانت تسوؤه بعض الأوضاع الاجتماعية والسياسية في البلاد المغربية، وكأنه كان يتوق الى مجتمع أكثر عدلا واستقامة، فباشر بالإصلاح بطريقة الدعوة تعليما، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتغيير مارآه فاسدا في المجتمع المغربي[1]، فبنى حركته السياسية على عاملين أساسيين متكاملين أولهما أساس هدمي يقوم على توصيف الواقع المغربي وابراز مفاسده تمهيدا لاسقاطه، وبناء يقوم على تحديد مضامين جديدة لبديل عقدي سياسي واجتماعي لمحتوى الثورة الموحدية وانتهى الى أن ما طرأ من فساد في الميادين المختلفة انما أفضت اليه ثلاث طوائف تعاونت على اشاعة الفساد والبغي وهي طائفة الحكام والمرابطين وطائفة العلماء الذين يستغلونهم في انقاض سياستهم، وطائفة المعينين لهم من المنافقين العامة والدهماء، واعتبر طائفة العلماء والفقهاء الذين يستعملهم المرابطين شر الطوائف لأن لهم الدور في تضليل الطائفتين الأخرتين[2].

أما في عهد عبد المؤمن بن علي (524هـ/558هـ)فقد وطد أركان الدعوة وحولها من دينية الى دعوة سياسية عسكرية، فتمكن من تأسيس دولة الموحدين وضم اطرافها المقطوعة وتوحيدها، وقد شهدت الحركة العلمية والثقافية نهضة مباركة في عهده فلم يعد المغرب متقوقع حول التعاليم القديمة ولكنه حدد الافكار والاحكام واصلح القضاء، والح على رجال القضاء المعلمين ان يستعملوا خيالهم بأنظمة وقوانين جديدة للإصلاح الحياة العامة، ومن مآثره ان جعل نظام الشورى هاديا ومرشدا لحكمه، وبذلك يكون قد نقل نظام

[1] – ربيعة شكيمة وربيعة قعار: "التصوف في المغرب الإسلامي خلال العهد الموحدي"، (مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس)، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ،جامعة الوادي، 2012/2011، ص28.

[2] – عبد المجيد النجار: **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت**، ط1، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا، 1995م، ص 83.

الدولة من تسلط المهدي الى منطلق الشورى والأخذ بآراء الجماعة [1]، إلا أن فترة حكمه شهدت حركات تمردية ذات الايحاء الصوفي، التي اندلعت، وسلطة عبد المؤمن ما تزال تبحث عن توازنها والدولة الموحدية لم تثبت دعائمها بعد، وكان لهذا الأمر تأثيره المباشر على موقف الخليفة من المتصوفة بحيث اصبحت الحيطة والصرامة والتنافر والتباعد من سمات سياسته اتجاههم، بالمراقبة المستمرة لنشاطات بعض المتصوفة، تدخل في اطار قمعي شامل لتنحية الانشقاقات السياسية والثورات واستئصال المعارضين والعناصر المشكوك في ولائها في مختلف القبائل الخاضعة للموحدين[2].

اما فترة حكم ابنه ابو يعقوب يوسف( 558هـ/580هـ) فلم يحفل بالكثير من تدوين الاحداث التي وقعت في عهده، لم تكن ملكاته السياسية بالمستوى التي تتطلبه ظروف دولة واسعة كدولة الموحدين الا انه استطاع المحافظة على التراث الضخم الذي صار اليه رغم انه كان كثير الامراض والعلل، الا ان فترته عرفت هدوء واستقرار خاصة بعد القضاء على ثورات الاندلس[3].

إن الاستقرار السياسي الذي عرفته الدولة الموحدية انجرّ عنه بعض التحسن في المجال الاقتصادي وقد سجل مؤرخو الدولة الموحدية وفي مقدمتهم عبد الواحد المراكشي الذي يقول: "لم تزل ايام أبي يعقوب اعياد ومواسم كثرت الخصب، وانتشار امن، ودرور أرزاق، واتساع معايش لم يرى أهل المغرب ايام قط مثلها ".

[1] -نجيب زينب: **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس**، ج2، ط1، دار الامير للثقافة والعلوم، بيروت، 1995، ص 341.

[2] - محمد الشريف: **التصوف والسلطة في العصر الموحدي (6/7هـ) مساهمة في دراسة ثنائية الحكم والدين في النسق المغربي الوسيط** ط1، الجمعية المغربية للدراسات الاندلسية، 2004 م، ص 10.

[3] -حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 220 .

هذا إلى جانب ميل الخليفة الى الفلسفة والحكمة اكثر من ميله الى الادب وبقية العلوم، مما ساعد على ظهور وتطور الاتجاهات الفلسفية الصوفية، فبالرغم من سياسة التعاطف واللين التي بدرت منه اتجاه بعض الفروع الا ان سلطته ظلت تنظر بعين اليقظ المحترس من اي نشاط غير مرغوب فيه[1].

أما عهد أبو يوسف يعقوب المنصور (580هـ/595هـ) تعتبر هذه الفترة العصر الذهبي للدولة الموحدية والذروة التي وصل اليها التطور السياسي، لكن كان ذلك العصر قصير لا يتناسب مع دولة متناثرة الاطراف غزيرة الثروة والموارد مثل الدولة الموحدية، إلاّ أن المنصور كان من الموحدين القلائل الذي استطاع قيادة جيشه قيادة سليمة محكمة وكسبت جيوشه قوة ضاربة كبرى حيث استطاع القضاء على ثورة بني غانية سنة (583هـ) وانزل بهم هزيمة قاصبة [2].

ومن جانب آخر افتتح المنصور حكمه بمجموعة من المبادرات الاصلاحية تهدف لقطع المناكر وبسط العدل ومباشرة الأحكام لتحقيق شرائع الإسلام، كما حاول ترسيم التعليم وجعله اطار لتوحيد الاختيارات الثقافية والعلمية ومن بين الإجراءات التي تبناها اقامة المدارس وتخصيص ميزانية من الخزينة العمومية لتغطية تكاليفها ومتطلباتها التربوية والتنظيمية، فقد سلك سياسة المهادنة والمحابات والتودد كإجراء تكتيكي في اطار استراتيجية المراقبة التي كانت تفرضها الدولة الموحدية على المد الصوفي، هذه السياسة التي استقطبت عددا من المتصوفة [3].

[1] – فاطمة الزهرة جدو: "السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين 479.635هـ/1086.1238م"، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط)، إشراف الدكتور بكيز بحاز، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008م، ص 99.

[2] – ابو العباس احمد بن خالد الناصري: **استقصا لأخبار دول المغرب الاقصى الدولتان المرابطية والموحدية**، ج2، د ط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ص 143.

[3] – محمد الشريف: المرجع السابق، ص 18.

فحين توليه الحكم وجد نفسه بين خصمين عنيدين المتصوفة من جهة والفقهاء المالكية من جهة اخرى فعمل على استئصال فئة المذهب المالكي من جذوره بحرق كتب الفروع المالكية في جميع انحاء الدولة، في مقابل ذلك فتح المجال لعلماء الحديث للبروز اكثر للحد من نفوذ المالكية وحاول بالمقابل كسب تأييد فئة المتصوفة لما تشكله من خطر على الجهاز الموحدي كبنية وسلطة فمحاولته استقطابهم الى صفّه بغية الاستفادة وكسب تأييد الاوساط الشعبية التي كانت ملتفة حولهم لأجل المحافظة على الاستقرار الداخلي والتفرغ لمواجهة الخطر النصراني في الاندلس هذا لا يعني انها غضت الطرف عن نشاط هاته الفئة، فسياسة الحذر والتوجس والمراقبة استمرت على عهده كما سبق ذكره[1].

[1] – محمد الشريف: المرجع السابق، ص 20.

## الأزمات التي واجهت الدولة الموحدية في القرن (6هـ)

تعرضت الدولة الموحدية عبر تاريخها في المغرب والأندلس الى تمردات وانتفاضات متعددة ومتنوعة فبالرغم من تحسن الظروف الاجتماعية والاقتصادية لعموم الدولة عبر كامل أرجائها الا أنها قامت ضدها العديد من الثورات والتمردات، وفي دراستنا هذه سوف نركز أكثر على تلك التمردات التي عرفتها الدولة خاصة من المتصوفة لكون موضوعنا يتعلق بالتصوف والدول الموحدية، وعن اهم هذه التمردات نذكر:

1. **ثورة ابن هود:**

ظهرت ثورة ابن هود في رباط ماسة سنة 541هـ/1146-1147م، بمساندة الجماعة الصوفية المرتكزة في هذا الرباط الذي كان قد تحول منذ مدة الى بؤرة لجلب الصلحاء،وكان يقام به موسم يجتمع به عدد كبير من الموريدين. ومن المرجح ان اختيار ابن هود لهذا المكان لبدء ثورته مرتبطا بتاكده من دعم رجال الصلاح الذين التفت العامة حولهم ،وقد كانوا وراء انتصاراته الاولى ضد الجيش الموحدي، ووصل القمع في هذه الثورة لدرجته القصوة، مع ما يعرف بعملية الاعتراف الدموية التي قام بها عبد المؤمن سنة544هـ/1149-1150م،للاستئصال المعارضين والعناصر المشكوك فيها في ولائها في مختلف القبائل الخاضعة للموحدين.[1]

2. **ثورة عتاب:**

وفي عهد الخليفة يوسف قامت ثورة ضده بزعامة احد المتصوفة يدعى عتاب انطلاقا من مدينة داي[2] التي كانت مركز صوفي نشيط، وتتبع عن حركة عتاب قيام الدولة الموحدية بمطاردة اشياخ الموردين بسبب ما

[1] – محمد الشريف : المرجع السابق ،ص50.

[2] – تقع بالمغرب الأقصى بينها وبين اغمات اربع ايام . انظر الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح. احسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م ص 231.

نسب الى عتاب حين قيل انه يطلب الملك فقتل وطلب اصحابه، وقمعت حركته بقسوة ادت الى خراب المدينة وجلاء اهلها وافتراقهم في البلاد بسبب تضامنهم مع الانتفاضة[1].

### 3. ثورة أبو زبا الفارسي:

وفي عهد المنصور قامت ثورة بقيادة ابى زبا الفارسي في الزاب، حيث ان جميع المصادر والمراجع التي تحصلنا عليها لم تتطرق لأمر هذا الثائر ولم ترد فيه معلومات عن حياته ولا عن ثورته، ما عدا نص وحيد وصلنا لصاحب الاستبصار بحيث يتضح من خلال هذا النص ان الثائر قام بثورته قبل سنة (583هـ/1187م) في بلاد الزاب، ولكن بعد رؤيته لقوة الخليفة المنصور آثر ان يركن الى الهدوء بعد ان طلب الطاعة من المنصور فأجابه الخليفة، لكن يبدوا انه بعد عودة المنصور لعاصمته وانشغاله بالمتآمرين عليه من قرابته وعودة بنى غانية في افريقية ضد الموحدين عاد أبو زبا مرة اخرى الى ثورته واستبد بمدينة طرابلس وظل فيها حتي سنة(586هـ/ 1190م) حيث تولى شرف الدين قرقوش اخراجه منها واسره بمراكش[2].

### 4. ثورة الجزيري:

وفي سنة (586هـ/1190م) ثارت فتنة علي بن محمد بن رزين المعروف بالجزيري حيث كان اول ظهوره بمدينة مراكش وهو على مذهب الخوارج الازارقة، وقد اكتسب أتباع كثر، وقد كلف والي المدينة أبو الحسن بن أبي حفص من طرف المنصور بمطاردته ففر هاربا مع اتباعه، ثم ظهر في فاس والتفّ حوله الناس وبلغ امره والي المدينة فامر بالقبض عليه ففر منها واختفت اثاره لمدة من الزمن، بلغت الخليفة المنصور اخبار هذا الثائر وهو بالأندلس فامر بالقبض عليه خاصة بعد ان شاع انه يتصور في هيئة الكلاب والحمير[3] وغيرها كما اصدر المنصور حكمه بإعدام اتباع الشقي وعددهم 99 رجلا، واتهم بشر هذه الفتنة عدد كبير من

[1] – ابن الزيات: المصدر السابق، ص ص 394. 395.

[2] – مؤلف مجهول : **الاستبصار في عجائب الامصار**، تع. سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الاسكندرية، مصر،1985م، ص 122.

[3] – المراكشي: **الذيل والتكملة**، تح. محمد بن شريفة، د ط، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ت، ص 126.

الناس وبعد بحث طويل عن الجزيري عثر عليه في احدى قرى مرسيه أُحضر امام المنصور، غير أنه نفى كل ما نسب اليه لكن الخليفة امر بصلبه، وتظهر في رواية اخرى ان الجزيري عالم اندلسي غير تلك الشخصية المشعوذة والتي كثرت حولها الاشاعات[1].

5. **ثورة الاشل:**

ظهرت في بلاد الزاب سنة (589هـ/1193م) في عهد المنصور حيث دعا لنفسه والتف حوله عدد كبير من العرب وبايعه عدد كبير من اهل تلك الجهات والمناطق المجاورة وبلغت اخباره المنصور باشتداد فساده في تلك النواحي فامر الخليفة والي بجاية بالقضاء عليه، ولكن حاول عدد من أعراب تلك الجهة الحاقدين على الموحدين اعتراض طريقهم، فاستخدم معهم الحيلة بإرسال الجواسيس، واستطاع أن يجمع معلومات عن الأشل ثم عمل أبو زكرياء على استدراج وجهاء العرب وأعيانهم وأولادهم من خلال المأدبة الكبيرة لإنجاز ما وعدهم به، وقد نجح في ذلك بحيث قدم الأبناء وطلب بل وأقسم بآبائهم، إما الأشل أو رؤوس أبنائهم بدلا عنه الى المنصور، رفض العرب الانصياع لأمر أبي زكرياء ولم تحدث تهديداته أي اثر فيهم، لكنهم انصاعوا في الأخير بحيث قبض على الأشل ووزيره من طرف جماعة من العرب وسلموه الى الوالي الذي قتله هو ووزيره وعلّق رأسه على باب بجاية وقضي بذلك على ثورته[2].

[1] – وتظهر في رواية اخرى ان الجزيري عالم اندلسي غير تلك الشخصية المشعوذة والتي كثرت حولها الاشاعات. ينظر في ذلك: ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب**، تح. محمد ابراهيم الكتاني وآخرون، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب، 1985م، ص ص 207.208.

[2] – نفسه، ص 216.

# الفصل الثاني

## 1 . أبو مدين من النشأة إلى الوفاة

### 1.1 . أبو مدين مولده ونشأته

### 1.2 . رحلاته وشيوخه

### 1.3 . أتباعه وتلامذته

### 1.4 . وفاته

## أبو مدين شعيب من النشأة إلى الوفاة

### 1.1. أبو مدين شعيب مولده ونشأته :

تشير الكثير من الدراسات المتخصصة في مباحث التصوف المغربي إلى أن بدايات ظهوره كانت في المرحلة الأخيرة من عصر المرابطين كتيار زهدي عفوي تعبيرا عن التقوى الدينية، لكنه تطور سريعا وتحول الى ظاهرة اجتماعية وثقافية مركبة في أوائل القرن(6هـ) ، وتكرس في البلاد المغربية بظهور عدة شخصيات عظيمة تمتعت بنضج روحي عالي وحماسة شديدة لهداية الناس وتعليمهم وإرشادهم، ولعل اهمهم في هذه الفترة الشيخ أبي مدين شعيب الأندلسي.

أصله من اشبيلية، ولد في قطنيانه إحدى قراها[1] وهو من أسرة فقيرة غير معروفة، كان والده صاحب غنم، ولما توفي كلفه إخوته برعي مواشيهم لأنه أصغرهم سنا [2]، وكلما كان يخرج إلى المرعى كان يمر على الناس فيشاهد بعضهم يقرا وبعضا آخر يصلي فتتملكه الرغبة في التعرف على العلم والصلاة ويصف حسرته فيقول: "أجد في نفسي غما عظيما لأني لا أفعل مثله أو لا أحفظ شيء من القرآن ولا أعرف كيف أصلي "، ثم تعلم صناعة النسيج ولما أحس من نفسه الميل إلى العلم أقبل عليه وحدّث إخوته في ذلك فكانوا يقبلونه بالرفض حتى عزم على الهرب وترك الماشية فقرر الفرار طالباً لما مالت إليه نفسه [3]، ونزح عن وطنه الى فاس ليأخذ من علماء المغاربة الذين جذبته إليهم شهرتهم[4].

---

[1] – احمد بن القاضي المكناسي: **جدوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس(1025/960هـ)**، دار المنصور للطباعة والورق الرباط، 1973م، ص 530.

[2] – أبو العباس احمد الخطيب: **أنس الفقير وعز الحقير**، تص. محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ص 11.

[3] – ابن الزيات: المصدر السابق، ص 320.

[4]– ولا يعرف الزمن الذي انتقل فيه ابو مدين الى فاس ويحتمل أن يكون ذلك قد حدث في أخريات دولة المرابطين او في بداية دولة الموحدين واذا كان لنا ان نحكم من العلوم التي كانت تدرس حينذاك في جامعات فاس، ومن أبرزها علم الحديث فإننا نستطيع القول بان المغرب كان وقته تحت سلطان الموحدين. ينظر: محمد ثابت وآخرون: **دائرة المعارف الاسلامية** ، مج1، العدد5، مطبعة مصر، 1934م ، ص ص 399 .400.

قال أبو مدين: "**سرت حتى وصلت البحر وجدت خيمة فيها أناس فخرج منها شيخ وظنّ أني هربت من النصارى، وليس على الشيخ إلا ما يستر عورته، فسألته عن شأنه فاخبره فاخذ حبل وربط في طرفه مسمار فرمى به في البحر فاخرج له حوتا فشواه له فأكله... يقول ابو مدين اقمت عنده ثلاثة ايام كل ما جعت رمى بالخيط والمسمار في البحر ثم قال لي بعد ذلك اراك تروم امرا فارجع الى الحاضرة فان الله لا يعبد إلا بالعلم** "، **ثم دخل مدينة سلا ثم مراكش فأدخله الأندلسيون الذين كانوا في جملة الاجناد فقال له بعض الفقهاء : "إذا أردت أن تتفرغ لدينك فعليك بمدينة فاس** "، فتوجه إليها [1].

إنّ الوقت الذي كان فيه أبو مدين بفاس هو الوقت الذي انبعثت فيه مذاهب الموحدين في بلاد المغرب والذي نهضت فيه العلوم الكلامية والفقهية بتأثير تلك المذاهب، ولكن يظهر أن الطالب الأندلسي لم يبد أي ميل نحو هذه الأنظار الجديدة لأن ذوقه وجهه الى التصوف بصفة خاصة.

لم يجد أبو مدين لفقره المدقع أي صعوبة في التخلص من هذا العالم وملذاته الزائلة فتنقل متدرجا في كل مراتب الصوفية ، حيث شهدت فترة انتقاله إلى فاس أحياءا لعلوم الدين في الدولة الموحدية، وانفرجت ازمة كتاب الغزالي، "إحياء علوم الدين" الذي كان ممنوعا فجاء به المهدي وندب الناس الى قراءته، وأعجبوا بما رأوا فيه من جودة النظام والترتيب، وكان أبو مدين ملازما لقراءته عاكفا عليه[2].

[1] – عبد الحليم محمود: **أبو مدين الغوث حياته ومعراجه الى الله**، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص ص 28. 29.

[2] – محمد ثابت وآخرون: المرجع السابق، ص 400.

**1.2. رحلاته وشيوخه :**

إنّ ظهور التيار الصوفي في النسيج الاجتماعي للمغرب الاسلامي تم من خلال قنوات ثلاثة متزامنة أفريقية، أندلسية، مشرقية كانت كلها تصب في المنطقة وكان الشيوخ يجتازونها متنقلين بين أقطار بلاد المغرب الإسلامي أو يستقرون بحواضرها وبواديها الامر الذي دفع بأبي مدين شعيب للقيام برحلات عدة في بلاد المغرب للتعلم من شيوخها العائدين من المشرق والمغرب .

كان أبو مدين في أول أمره عاملا في البحر حيث دخل طنجة ولم يجد ما يأمله من العلم والمعرفة فسار الى سبته وانصرف منها الى مراكش قاصدا جماعة العلم بفاس، فسار اليها ولزم جامعها ورغب في من يعلمه أحكام الوضوء والصلاة ثم سأل عن مجالس العلم[1].

يقول أبو مدين شعيب: **" سرت الى تلك المجالس مجلس بعد مجلس، وأنا لا يثبت في قلبي شيء مما أسمعه من المدرسين الى ان جلست الى شيخ كلما تكلم بكلام ثبت في قلبي حفظته فقلت: من هذا الشيخ؟ فقيل لي أبو الحسن ابن حرزهم، فلما فرغ دنوت منه فقلت له : "حضرت مجالس كثيرة فلم أثبت على ما يقال وأنت كل ما سمعت منك حفظته فقال لي: هم يتكلمون بأطراف ألسنتهم فلم يتجاوز كلامهم الآذان، و أنا قصدت الله بكلامي فخرج من القلب فلازمته"** [2].

وهذا الشيخ أبو الحسن علي ابن اسماعيل بن عبد الله بن حرزهم ولد بفاس ونشأ بها. كان احد اهم شيوخ المتصوفة في عهد عبد المؤمن بن علي (524/558هـ) اذ تعد هذه الفترة محطة مهمة في تطور التصوف بشكل كبير ذلك أن عبد المؤمن بن علي أولى اهتماما خاص بفئة الصوفية خلال فترة حكمه(كما أسلفنا ذكره سابقا) لكونه تلقى العلوم على يد مشايخ الصوفية و كان هذا من عوامل التقرب منهم حيث أقطع لهم الخليفة الأراضي ليسترزقوا وجعل لهم مكان في المجتمع الموحدي.

[1] – ابن الزيات: المصدر السابق، ص 120.

[2] – عبد الحليم محمود: المرجع السابق، ص 32.

عُرف بن حرزهم بكرامات و فراسات على نهج والده الذي كان من كبار الصالحين كما يروى عنه وكذلك أخوه، ومما ذكر في التاريخ ان لابن حرزهم قصة مع كتاب إحياء علوم الدين، وهي قصة تحدث بها هو ورواها عنه كثيرون انه يقول : **"اعتكفت على قراءة إحياء علوم الدين للغزالي في بيت مدة من عام فجردت المسائل التي تنتقد عليه وعزمت على حرق الكتاب فلما نمت رأيت قائلا يقول: جروه واضربوه حد القرية فضربت ثمانين سوطا فلما استيقظت جعلت أقلب ظهري فوجدت به ألم شديد من ذلك الضرب فتبت الى الله تعالى مما اعتقدت، ثم بعد ذلك تأملت المسائل فوجدتها موافقة للكتاب والسنة"**،كان وفاة بن حرزهم سنة(599 هـ)، وهذا تزامنا مع فترة بداية فترة أبو يعقوب يوسف بسنة[1].

ومن شيوخ أبو مدين شعيب "أبو الحسن بن الغالب" من فقهاء فاس[2]، وقد عاش في عهد أبو يوسف يعقوب المنصور وكان هذا زمن سياسة العنف والمواجهة التي اتبعها الخليفة ضد المتصوفة، ولقد كان بن الغالب كذلك من اهم رجال المتصوفة في عهد المنصور (580هـ/ 595هـ) والتي هي عبارة عن امتداد لسياسات العنف التي انتهجها أبو يعقوب يوسف،كما أن هذه الفترة شهدت تقربا كبيرا، وفسر ذلك لكسب ولائها وتأييد بعض مشايخ التصوف مع السلطة وليس حبا لفئتهم[3].

قصد أبو مدين شعيب الشيخ "ابن الغالب" وقرأ عليه السنن "لأبي عيسى الترمذي" في حديث النبي ﷺ ولقد أقام أبو مدين بفاس مدة طويلة من الزمن [4] حيث يقول : **"كنت إذا سمعت تفسير آية من كتاب الله تعالى ومعه حديث واحد من أحاديث رسول الله ﷺ قنعت بها وانصرفت خارج فاس الى موضع خالي من الناس آوي إليه بما فتح الله عليا من الآية والحديث ثم أعود الى فاس فأخذ آية وحديث**

[1] – أبو العباس احمد الخطيب: المصدر السابق، ص 13.14 .

[2] – نفسه، ص 14.

[3] – فاطمة الزهرة جدو: المرجع السابق، ص 104.

[4] – أبو العباس احمد الخطيب: نفسه، ص 14.

**وأخرج الى خلوتي ...كنت اذا جلست بذلك المكان تأتيني غزالة تأوي إلي تشمني من قرني الى قدمي ، فذهبت يوما وكان الخميس الى فاس وبت بها يوم الجمعة، فلقاني رجل من الأندلس أعرفه فسلّم عليّ وكان عندي ثوب مودع عند رجل من أصحابي فسألته عنه فقال لي : بعه لي فإني أريد ان أدفع ثمنه لضيفي وصل إليّ من الأندلس فباعه بعشرة دراهم ودفعها إليّ فطلبت الرجل فلم أجده فربطت الدراهم في خرقة وجعلتها في مئزر لي وخرجت إلى خلوتي كعادتي وكانت في طريقي عمارة فيها جملة من الكلاب ما رأيت أذى منهم قط بل كانوا يدورون حولي فلما اقتربت من القرية خرجوا إليّ واشتد نباحهم حتى خرج أهل القرية وحالوا بيني وبينهم ثم وصلت إلى خلوتي فجاءت الغزالة فنظرت إليّ نظرا منكرا ثم صارت تنطحني بقرونها وانا أتّقيها بيدي ففكرت في أمري وما رأيت من نبح الكلاب علي ونطح الغزالة فقلت: إن ذلك من أجل الدراهم التي معي فحللت الصّرة ورميتها فسكتت الغزالة وركنت على عادتها ثم اخذتها ولما دخلت فاس سلمتها صاحبها "**[1].

ومن شيوخه "أبو يعزى آل النور بن عبد الله" ويقول: ابو عبد الله بن محمد بن أبي الفضل التلمساني في النجم الثاقب، قرأت نسبه بخط الامام ابى عبد الله محمد ابن عبد المالك عن اسمه ابى يعزى آل النور بن عبد الله سيدي ابى يعزى[2]، ويقال عن كنيته المشهورة واكثر ما ينطقون به في الاخبار بفتح العين وتشديد الزّي ثم قال اسمه آل النور بن ميمون من بلاد ايرجان ومن عمال مكناسة الزيتون.

[1] – أبو عبد الله محمد بن محمد بن احمد: **البيان في ذكر العلماء والاولياء في تلمسان**، مطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م، ص 109.

[2] احمد التادلي: **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، د ط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996م، ص 64.

مجاهدته كثيرة، تحدّث عنها جماعة ممن تعرض لأوصافه كصاحب النجم والعزفي انه قال: " **اقمت في البراري سائحا خمسة عشرة سنة لا آوي الى معمورة وكنت اتقوت بالثمار ونبات الارض وكانت الوحوش والطيور تأوي إليّ في سياحتي**" وأضاف العزفي واصفا سيرة أبي مدين في هذه الفترة " .. **ولا يشارك الناس في معايشهم لا في مجاهدته ولا في نهايته**"[1].

كانت الفترة التي عاش فيها ابو يعزى في فترة عهد المؤمن بن علي ( 524/558هـ) حيث ارتبط حضور المتصوفة في اذهان العامة بما يتمتعون به من فترات خارقة تجعل منهم انداد السلطة، ونرى في تكريس معتقداتهم لذلك توترت علاقاتهم بين السلطة والمتصوفة ونرى هذا بتوظيف كرامات ابى يعزى نفسه التي كانت تعكس سلطة عبد المؤمن وحملت في طياتها العديد من الصراعات [2].

توفى الشيخ ابو يعزى في ما نقل عنه جماعة ممن تعرض لسيرته سنة (572هـ) وعمره يقارب مائة وثلاثين سنة، كانت وفاته في نهاية فترة ابي اليعقوب يوسف التي شهدت موقفا مستريبا من رجال التصوف خلال هذه الفترة اتخذت من المراقبة والتطويق وسيلة لخنق أنفاسهم كما عملت على انتهاج نوع من المرونة اتجاههم لكسب ولائهم [3].

مما رواه أبو مدين شعيب عن شيخه أبي يعزى : "**كنت ايام اقامتي بفاس ازور الشيخ ابى يعزى وأول زيارة له اني رأيت جماعة تحدثوا على كراماته ونوو زيارته فذهبت معهم اليه فلما وصلنا اقبل عليه القوم دوني واحضر الطعام فمنعني من الاكل معهم فاذا حضروا الطعام وقمت اليه انتهوني فأقول في نفسي هؤلاء من هذه العدوة أقبل عليهم وأنا أندلسي فأقمت كذلك ثلاثة أيام وقد أجهدني الجوع**

[1] – احمد التادلي: المصدر السابق، ص 65. 66.

[2] – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 198.

[3] – فاطة الزهرة جدو: المرجع السابق، ص ص 100.101.

**والذل ثم قلت في نفسي اذا أقام الشيخ من مكانه أمرغ وجهي في ذلك المكان، فقام ومرغت وجهي فلما رفعت رأسي لم أبصر شيئًا فقلت عميت وبقيت طول الليل باكيا ولسان حالي ينشد[1]:**

**قليل لمثلي زفرة ونحـــــيب وليس له إلا الحبيب طـــــبيب**

**وأقل ما يلق لمحب خضـــــه إذا كان من يدعوه ليـس يجيـــب**

**فلما أصبحت خرج الشيخ فاستدعاني وقال لي: أقرب يا أندلسي فدنوت منه فمسح بيده على عيني فأبصرت ثم مسح بيده على صدري ثم قال للحاضرين هذا يكون له شان عظيم أو كلام هذا معناه قلت جاءت بشائر الفتح واستأذنته في الانصراف للحج فأذن لي وقال لي نرى الأسد يعترضك في الطريق فلا يروعك فان اشتد خوفك فقل له: بحرمة آل النور اذهب عني، ثم تجد ثلاثة من اللصوص عند شجرة فتعضهم فيتوب اثنان ويضرب عنق الثالث ويصلب على تلك الشجرة"** [2].

ويحكى أن أبا مدين لما ودع شيخه في انصرافه الى المشرق قال له مر بحفظ الله وبشره بالمقامات العالية ثم قال له ستهدى لك جارية حبشية وسيولد لك معها ولد، فان عاش فسيكون له شأن عظيم [3].

رحل أبو مدين الى المشرق وأخذ من أعلام علمائها، وتعرّف على أبي صالح عبد القادر الجيلاني فقرأ عليه بالحرم الشريف كثيرا من الحديث وألبسه الخرقة وأودعه كثيرا من أسراره وحلاّه بملابس أنواره .

[1] – أحمد التادلي: المصدر السابق، ص131.

[2] – ابن الزيات: المصدر السابق، ص ص320.321 .

[3] – أحمد التادلي: نفسه، ص ص 136.131.

ثم رجع الى بجاية وبدأ دراسة العلوم الصوفية على يد الشيخ الصالح "أبي علي الدقاق"[1]وهو من كبار مشايخ الصوفية وكان يتردد من فاس الى سجلماسة وكان يقول:"أنا أول من أخذ عنه أبو مدين علم التصوف"[2].

وكان من الكتب المفضلة لأبي مدين شعيب كتاب رسالة القشيري وهو كتاب ألفه الامام القشيري يقول في أوله: "هذه رسالة كتبها الفقير الى الله تعالى عبد الكريم بن هوازان القشيري الى جماعة الصوفية ببلدان الاسلام في سنة (437هـ) ".

كانت هذه الرسالة من أهم الكتب التي اطلع عيها ابو مدين شعيب لبناء علومه الصوفية وهذا ما يجعلنا نتطرق اليها بشكل مبسط.

تحدث القشيري في المنهج وفي الموضوع، حيث تكلم أولا عن العقائد الصوفية وبيّن أنها موافقة للكتاب والسنة، ثم تحدث عن مجموعة الصوفية كل على حدى مبينا عنهم بعض ما يتصل بحياتهم و بعض ما يتصل بآرائهم وتحدث ثالثا عن مصطلحات الصوفية[3]، ورابعا عن المقامات التي يتدرج فيها الصوفي في معراجه الى الله، يندرج فيها من مقام الى مقام، حتى يصل التوبة الصادقة بالقرب من الله، وانتهى أخيرا بآداب المريد وصفات الشيخ ومسائل تهم كل دارس للتصوف وسالك لطريق التصوف[4].

[1] – محمد بن محمود مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، د ط، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ، ص164.

[2] – أبي العباس أحمد الخطيب: المصدر السابق، ص27.

[3] – للصوفية مصطلحات خاصة بهم لا يدل معناها اللغوي عن معناها الاصطلاحي وشأنها في ذلك شأن مصطلحات الفنون الأخرى كالأخلاق والفلسفة والنحو والفقه وغير ذلك.

[4] – عبد الحليم محمود: المرجع السابق، ص ص 39.38.

وقد درس أبو مدين أيضا كتاب الرعاية للمحاسبي ودرس الإحياء وغيرها من كتب التصوف وبعد عودته من رحلاته استوطن في الأخير ببجاية وكثر تلاميذه وظهرت علومه عليهم، حيث يقال خرج على يده ألف تلميذ[1].

**1.3. أتباعه وتلامذته:**

لما استقر أبو مدين شعيب ببجاية أخذ في التدريس ونشر تعاليم الدين الإسلامي والعلوم الصوفية، حيث كثر أتباعه ومريديه منهم ابو زكرياء يحي بن أبي علي الزواوي، كان له كرسي في جامع بجاية يقرأ عليه العلم وأكثر ما يقرأ التفسير والحديث،كما كان كثير التذكير بالله عز وجل وبتخويف الناس بأهوال يوم القيامة، ومنهم كذلك الشيخ "أبو علي يعزى ابن الشيخ ابي يعزى" كان في حياة أبيه يحب السلطة والدنيا، ولما احتضر والده حرص على رؤيته، دخل عليه فقال له " تب الى الله تعالى فقال: تبت الى الله تعالى "كلمه بذلك ثلاث مرات وابنه يجيب بذلك ثم مات وخلفه ابنه.

وكذلك منهم "أبو جعفر بن يوسف الصنهاجي" قال: "زرت الشيخ أبا يعزى مائة مرة وما وجدت الا بركة الرجال"، وكان أبو يعزى يناديه من مكانه فيجبه نعم وبينهما خمسة أيام فعاتبه مرة وقال له ناديتك ثلاث مرات فلم تجبني إلاّ في الثالثة فاستغفر الله تعالى[2].

ومنهم أيضا "أبوعبد الله التاودي" كان بفاس يعلم الأولاد القرآن ويأخذ الأجرة من الأولاد الأغنياء خاصة، ويدفعها لأولاد الفقراء، قال أبو مدين: "جاء رجلين الى عبد الله التاودي يزورانه فأبصرا بين يديه هرين جعل كل واحد منهما رأسه على الأخر فقال لهما هكذا ينبغي أن تكون الأخوة فأخذ التاودي لقمة من خبز ورمى بها اليهما، فوثب كل واحد منهما على الأخر ليأخذها فقال أبو عبد الله: "هكذا كانت الأخوة حتى دخلت الدنيا فأفسدتها".

[1] – عبد الحليم محمود: المرجع السابق، ص 50.

[2] – أبو العباس احمد الخطيب: المصدر السابق، ص ص 30.29.

ومن أتباع أبو مدين شعيب ايضا "أبو تميم عبد الرحمن الهزميري" كان حافظا لمسائل حدث عنه أبو الحسن بن عبد الكريم قال: " أعجب ما رأيت من أخبار الصالحين أنّي مشيت بأختي حين ظهر البرص بها الى كل أطباء فاس فلم ينفع الدواء فرجعت بها وقصدت ابا تميم فبزق بريقه على موقع البرص فاختفى.

وكذلك "أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري السبتي" قرأ عليه أبو مدين بفاس ولأبي الصبر كتاب عرّف به أبو مدين وذكر فضله، قال أبو علي الصواف سمعت الشيخ ابو مدين يقول:" جاء أبو الصبر أيوب بصفحة كبيرة من عود من عمل الروم من سبتة الى منزل أبي يعزى على رأسه فقبلها منه وكان يطعم فيها الزائرين[1].

لقد برز بشكل كبير في الوسط الصوفي "أبو محمد عبد الرزاق بن محمد بن اسماعيل الحزولي" كان في آخر عصره مستقرا بالإسكندرية من كبار مشايخ التصوف كان يواصل سبعة ايام، فقيل ذلك لأبي مدين فقال لهم دعوه فإن كان صادقا فسينتفع بذلك وإن كان كاذبا فعوقبته ذلك[2].

ومن التلاميذ كذلك "أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن إبراهيم الهاشمي القرشي" أدرك أبو مدين في بجاية بل في أفريقية قبل استقراره في بجاية، كان أبو مدين يثني عليه ويعظم قدره كثيرا، يقول أبو عبد الله: **" لقيت قريب من ستمائة شيخ اقتديت منهم بأربعة أبو يزيد القرطبي، وأبو الربيع سليمان بن عمر المالقي، وأبو العباس أحمد بن عطاء، وأبو إسحاق إبراهيم بن طريق، وبعد هؤلاء إلتقيت بأبي مدين وصحبته و لازمته مدة من الزمن ورويت عنه"**[3].

[1] – أبي العباس أحمد الخطيب: المصدر السابق، ص ص 32.30.

[2] – أحمد التادلي : المصدر السابق، ص 187..

[3] – نفسه، ص 193.

ومنهم أيضا"أبو محمد عبد الله الصنهاجي"عرف بالزرهوني، شكى إليه بعض اصحابه انه اشغله ذكر الموت عند ارادة النوم عن الراحة التي نستعين بها على العبادة فقال له:"يكفي الانسان ذكر الموت عند النوم ".

ومن تلاميذه أيضا "أبو عبد الله محمد بن حمادة الصنهاجي" من قلعة بني حماد، ذكر في فهرسته انه لقي أبا مدين وقرأ عليه كتاب (المقصد الأسنى في شرح اسماء الله الحسنى) من فاتحته الى خاتمته، وتفقه بداره ببجاية سنة (581هـ).

وفي ذكر تلاميذه ايضا "أبو علي حسن بن محمد الغالب الصواف" لازمه ثلاثين سنة ولم يفارقه الا بالموت في العبادة، وحدث عنه أخبار ورأى له أسرارا، وانتفع على يده[1]، وكذلك "فاطمة الأندلسية" من أهل قصر كتانة والتي روت الكثير على أبي مدين، ومن التلاميذ "أبو عمران موسى بن يدراس الحلاج "، كان فيما يروى عنه عبدا صالحا وقال عنه علي حسن بن محمد: **"كان أبو عمران الحلاج حلاجا للقطن فكان لا يأتيه أحد إلاّ وقال له كان من أمرك كذا وكذا وفعلت كذا وكذا فشاعت عنه هذه الأمور فخاف على نفسه وفر من فاس الى بجاية فلما اجتمع مع أبي مدين شكى إليه ما قاساه من الناس فقال له ابو مدين: اسمك موسى واسمي شعيب وقد آمنت فإن موسى لم يأمن حتى لقي شعيب"**[2].

**1.4. وفاته:**

استوطن أبو مدين شعيب بجاية وكان يفضلها على الكثير من المدن ويقول انها تعين على طلب الحلال وفي هذه الفترة عرف التصوف تحولا ملحوظا عن مساره الصوفي الذي كان يهدف في البداية الى نشر الاسلام فيما وراء الحواضر حيث تمكّن أبو مدين من اخراج التصوف من داخل الحواضر في المغرب الاوسط كقلعة بن حماد وبجاية وتلمسان وبونة وقسنطينة أواخر القرن السادس هجري (6هـ) الى البوادي والأرياف، وبهذا يكون

[1] – عبد الحليم محمود: المرجع السابق، ص ص 58.54.

[2] – ابن الزيات: المصدر السابق، ص ص 330.332.

قد فتح باب التصوف الشعبي على مصرعيه أمام العامة،كما تمكّن الشيخ من تحويل مدينة بجاية الى مركز إشعاع صوفي تنهل منه صوفية أفريقية والمغرب الأقصى والأندلس وغيرها من المدن [1].

وفي طريقه إلى مدينة مراكش بناءا على دعوة الخليفة الموحدي "يعقوب المنصور "، له بالقدوم إليه والذي بعث إلى والي بجاية وطلب منه أن يشخصه إليه معززا مكرما، وحرس على ألاّ يلحقه أي أذى، وعندما علم أصحابه وتلاميذه بالخبر شقّ عليهم فراقه، وتخوفوا من سوء مصيره، فطمأنهم الشيخ قائلا: **"إن منيتي قريبة ولغير هذا المكان قدرت، فبعث الله من يحملني إليه برفق، وأنا لا أرى السلطان ولا يراني"** فطابت نفوسهم، وذهب عنهم الخوف وارتحلوا به إلى أن وصلوا إلى ضواحي العباد يتلمسان قال لأصحابه ما أصلحه للرّقاد، وهنا مرض أبو مدين مرض موته، فلما وصل وادي يسر اشتدّ مرضه ونزلوا به هناك حيث توفي الشيخ سنة (594هـ/1197م)، فحُمل الى العباد مدفن الأولياء وخرج أهل تلمسان للجنازة، فكانت من المشاهد العظيمة[2].

[1] – التميمي: المصدر السابق، ص 22.

[2] – احمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تح. عبدالحميد عبدالله الهرامة، ج2.1، ط1، منشورات الدعوة الإسلامية، طرابلس 1989م، ص ص 198.197.

# الفصل الثالث

## علاقة المتصوفة بالسلطة الموحدية خلال القرن (6ه)

1. انتشار التصوف في بلاد المغرب ودلالاته

2. حركة المتصوفة واتجاهاتهم

3. التصوف في العهد المرابطي والعهد الموحدي

4. علاقة أبو مدين شعيب بالمنصور وأسباب اهتمام هذا الأخير به

## علاقة المتصوفة بالسلطة الموحدية في القرن(6هـ)

### 1. انتشار التصوف في بلاد المغرب ودلالاته:

تميل الكثير من الدراسات المتخصصة الى ربط انتشار ظاهرة الأولياء والمتصوفة بالمرحلة الأخيرة من العصر المرابطي، حيث تجذرت الأزمة السياسية في مختلف مجالات الحياة العامة، الا أن هذا لا يجعلنا نتغاضى عن الفترة التي مهدت لانتشاره في بلاد المغرب، وهي ظهوره بداية كتيار زهد، اي التمييز بين ثبوت وجود السلوك الزهدي منذ فترة مبكرة نسبيا وبين التصوف باعتباره مذهبا ونسقا فكريا، وهنا نريد القول بأن الزهد كسلوك انساني كان موجود في بلاد المغرب بحكم طبيعته لدى بعض الناس، الا أن التصوف باعتباره تيار ومنظومة مُهيكلة ظهر في أوائل القرن (6هـ)[1]،حيث يعتبر هذا القرن عصر الازدهار الكاسح للتصوف وتغلغله في النسيج الاجتماعي للمغرب الاسلامي، ويبدو أن التصوف قد دخل المغرب عن طريق ثلاث قنوات متزامنة هي: القناة الافريقية والأندلسية والقناة المشرقية، ما يعني أن ظهور التصوف في بلاد المغرب كان متأخر مقارنة بظهوره ببلاد المشرق[2].

### 1.1. أسباب انتشار التصوف في بلاد المغرب الاسلامي:

- لقد كان المغاربة يقصدون بلاد المشرق لأداء فريضة الحج ومن أجل طلب العلم والتجارة والتكسب وبالتالي لقد كانت بلاد المشرق مصدر التأثير المباشر باعتباره مجال التصوف ومُنطلقه.
- لم يكن لتأثير مختلف هذه القنوات أن يلاقي قبولا داخل المجتمع المغربي، لولا تجذر الأزمة في شرايينه وخاصة أواخر العهد المرابطي الذي تميز بتدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية أو حتى السياسية، وهي الأزمة التي استغلها المهدي بن تومرت لتقويض دعائم مشروعية الدولة المرابطية من خلال مهاجمته لمواطن

[1] – التميمي: المصدر السابق، ص 90.

[2] – محمود علي مكي : المرجع السابق ، ص7.

الفساد والضعف في الدولة المرابطية في مختلف المجالات العقائدية منها والثقافية والاجتماعية بركوبه موجة التصوف .

- ساعدت الاضطرابات السياسية في انتشار التصوف، وذلك لأن تفرق الناس في مذاهبهم شيعا وأحزابا وجنوح كل فريق الى التعصب، أشاع في الناس اليأس والقنوط وملأ النفوس بالخوف والقلق، فلم يجدوا ملجأ لهم سوى التصوف [1].
- لقد كان التصوف من جهة وأتباعه من جهة أخرى بمثابة صائدي فرص، وذلك أن الانشغال بالاضطرابات السياسية والنزاعات الدينية هيأ الفرصة للصوفية للترويج لمبادئهم ونشر تعاليمهم، وكان لبعدهم عن المجالات المذهبية اثر كبير في احترام الناس والسلاطين لهم، مما أدى الى انتشار التصوف وبروز جماعة المتصوفة في بداية الأمر[2].
- بانتقال الثقل الاقتصادي في القرن (6هـ/9م) الى بجاية وتلمسان اللتين أصبحتا بيئتين صالحتين لنشوء التصوف، حيث ساد الثراء في بجاية واختل فيها التوازن الاجتماعي لصالح الأغنياء والتجار، حيث ظهرت سلوكات وأنماط من المعاملات انتقلت الى المدينة مع الوافدين [3]، ولعل هذا ما أدى لظهور المتصوفة الذين جاءوا بأفكار تنزع الى الزهد في المال وتطرح سبل الوصول الى انتزاع شواغل الدنيا وحب المال من قلب الأنسان [4].
- ان الثراء الذي سبق الحديث عنه لم تستفد منه سوى طبقة التجار والأعيان والطبقة الحاكمة، بينما سائر الطبقات الأخرى كانت تعيش الفقر[5]، وكرد على هذه الأوضاع ظهرت أولى ملامح التصوف التي تمجد

[1] – علي بن عثمان الجلابي: **كشف المحجوب**، تح. سعاد عبد قنديل، د ط، مطابع الأهرام التجارية، مصر، 1974م، ص32.

[2] – نفسه :ص33.

[3] – الغبريني: المصدر السابق، ص 80.

[4] – نفسه، ص 66.

[5] – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص97.

الفقر وتعتبره الخطوة الاولى للولوج الى التصوف فسار الفقر شرط أساسي وعلامة اخلاص على التجرد من الدنيا وزينتها، ومنه كان ذلك دافعا للكثير من الفقراء الى الدخول في التصوف والدليل على ذلك أن الصوفية انفسهم كانوا يسمون بالفقراء .

**1.2. مظاهر انتشار التصوف في بلاد المغرب الاسلامي:**

لقد كان من الطبيعي أن يعود المغاربة الذين قصدوا بلاد المشرق إمّا من أجل أداء فريضة الحج و اما طلبا للعلم أو التكسب والتجارة من المشرق، محملين بأفكار وتعاليم وسلوكات ومؤلفات صوفية يعملون على نشرها في الوسط المغربي، ومثال ذلك تعتبر القناة المشرقية هي الطريق الذي دخل منه مذهب الامام الغزالي مبكرا الى بلاد المغرب الاسلامي خاصة فاس، عن طريق تلميذه ابن حرزهم ولا يجب التقليل من قيمة القناة الأندلسية والقناة الإفريقية، فلا ننسى تأثير بلاد الاندلس على المغرب، حيث شهد القرن (6هـ) الانتقال المتواصل والمكثف لشيوخ التصوف بين ضفتي المضيق، الضفة الأندلسية والضفة المغربية.

لقد اطلع المتصوفة على رحلات ومصنفات الصوفية للاستزادة من العلم وأدى احتاكهم بكبار الصوفية في المشرق والأندلس الى نشأة التصوف وبلورة أفكاره، فعلى سبيل المثال: رحلة ابن ميسرة الى القيروان ثم الحج الى مكة حيث التقى ابو سعيد بن عربي الذي أخذ رواية الحديث على مذهب أهل السنة [1].

ان الملاحظ مما سبق هو ان التصوف ظهر في فترة متأزمة كحل للخروج من هذه الأزمة أو كوسيلة للمساعدة للانتقال من هذه الازمة الى مرحلة اخرى، وكأن التصوف مرحلة انتقالية ساعدت وهيأت نفوس العامة للانتقال من الحكم المرابطي الى الحكم الموحدي، وهذا ما سنلاحظه ايضا فيما بعد عندما تصبح الدولة الموحدية ايضا تعاني حالة من الانحدار والتدهور والضعف فيكون التصوف حل لتحذير العامة وجعلهم يتقبلون الوضع من اجل السهولة والانسيابية في الانتقال من سياسة الى سياسة اخرى ومن حكم الى آخر.

[1] – علي بن عثمان الجلابي: المصدر السابق، ص 33.

## 2. حركة المتصوفة واتجاهاتهم:

### 2.1.المتصوفة السّنيون:

هم المتصوفة المتقيدين بمظاهر الالتزام بأوامر الله ونواهيه والزهد في الدنيا والاعراض عن مباهجها والاقتداء بحياة النبيﷺ وبالقرآن والسنة النبوية والاهتمام بالتعبد والاقبال على التوبة [1]وتجنب المعاصي ولوم النفس على تفريطها ومحاولة تربيتها على السنن الدينية الصحيحة وتجنيبها الإنحراف وإبعادها عن شهواتها[2].

ويمثل هذا الاتجاه ابن النحوي وأبو مدين شعيب وأبو زكرياء الزواوي [3] وغيرهم من العصر الموحدي وكانت منابع دراستهم "قوت القلوب" لأبي طالب المكي ورسالة القشيري واحياء علوم الدين للغزالي، يعرف هذا الاتجاه لدى السلطة الحاكمة بالاتجاه المعتدل الذي عادة ما يفضل تجنبها وعدم الخوض في أمور السياسة[4].

[1] – الغبريني: المصدر السابق، ص 152.

[2] – ابن عذارى المراكش: المصدر السابق، ص ص 68.69.

[3] – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص101.

[4] – نفسه، ص 38.

### 2.2.المتصوفة الفلسفيون:

يضم الصوفية المهتمون بعلوم المكاشفة والتماس معرفة الله واكتساب علومه والوقوف على حكمه وأسراره والاطلاع على حقائق الموجودات وتربيتها لأنها صادرة عن صفة الوحدانية التي هي مظهر الأحادية[1] وادراك الحقيقة الإلاهية بمقاييس عقلية [2]، وكانوا يستمدون فلسفتهم من النظريات الفيضية ومن الفلسفات القائلة بالعقول والأفلاك والتي انتهت الى الايمان بوحدة الوجود والفناء وما الى ذلك من النظريات والأراء الباطنية يستعيضون عنها بالمجاهدات النفسية والرياضات الروحية للوصول الى ذلك بالكشف، وخلال القرنين (6و7هـ/12و13م) ركز جمهور من صوفية الأندلس على الاعتناء بعلوم المكاشفة ومثل هذا الاتجاه ابن عربي الذي مر ببجاية في القرن (6هـ)، وابن سبعين الششتري وابو الحسن احمر الحرالي التجيني.

وقد كانوا في نظر السلطة يمثلون الاتجاه الثوري الذي عادة ما يخرج من المتعارف والمتداول نتيجة أفكارهم الفلسفية ما يؤدي الى صدام بينهم وبين السلطة .

[1] – ابن خلدون: المصدر السابق، ص393.

[2] – الغبريني : المصدر السابق، ص46.

## 3. التصوف بين العهد المرابطي والموحدي:

### 3.1. موقف السلطة المرابطية من المتصوفة :

ان الحديث عن السلطة المرابطية يتطلب منا أن نقف قليلا عند هذا المصطلح "**السلطة المرابطية** " المقصود بها هما هو سلطة الأمير وسلطة الفقيه، لأنه لا يمكن الفصل بينهما في هذه المرحلة، وذلك لأن الدولة المرابطية قامت على يد فقيه [1] مالكي وهو عبد الله بن ياسين [2] فاحتفظ الفقهاء بمكانة مرموقة في هذه الدولة.

لقد تباينت مواقف الأمراء المرابطين بين التيار الصوفي المعتدل في نظر السلطة الذي سعى الى اصلاح المجتمع عن طريق التعايش مع النظام المرابطي [3] ثم التيار الثوري في نظر هذه السلطة الذي نهج اسلوب الثورة وعول على الاطاحة بنظام الحكم واقامة نظام بديل [4].

#### 3.1.1. موقف السلطة المرابطية من التيار الصوفي المسالم وسياسة الاحتواء :

نجد أن في فترة حكم على بن يوسف الذي كان يتأثر كثيرا بالفقهاء لدرجة جعلتهم يغرونه بالأكاذيب عن خطورة ابن العريف واضطروه لاتخاذ موقف ضد هؤلاء الصوفية، حيث أمر بإحضاره الى مراكش [5]، لكن بعد مثول ابن العريف أمامه تراجع عن مواقفه بل امر بتغريب القاضي الذي سعى بابن العريف وهو ابن

---

[1] – لقد تمتع الفقهاء بمركز مرموق في المغرب خاصة في العهد المرابطي ،حيث كانوا اعمدة الدولة وموضع شورى الأمراء. أنظر: حسين مؤنس: **سبعة وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس**،ط2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2000م، ص 22.

[2] – هو عبد الله بن ياسين بن مكوك الجازولي نسبة لقبيلة جزولة في أقصى المغرب، ولد في قرية بالقرب من أدغست في طرف صحراء غانا، رحل في طلب العلم للأندلس، اصبح القائد الروحي لتلك الجماعة التي اصبحت تسمى دولة المرابطين. انظر: ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تح. عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1973م، ص 15.

[3] – ابراهيم القادري بوتشيش: **وقع خطاب كتاب الاحياء للامام الغزالي في المجتمع الغرب الاسلامي ضمن كتاب اضاءات حول تراث الغرب الاسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي**،ط1، دار الطليعة، بيروت، 2002م، ص140.

[4] – الحسن السائح: **الحضارة الاسلامية في المغرب**، ط2، دار الثقافة، المغرب، 1986م،ص 19.

[5] – ابن العريف: **مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة**، تح. عصمت عبداللطيف دندش، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص213.

الاسود، رغم ان ابن العريف لم يكن من دعاة الثورة على النظام المرابطي بل نجده يحث تلاميذه على عدم الخروج على السلطان ومحاولة اصلاح المجتمع بالسبل السليمة المتوفرة من وعظ وتوعية، هذا ما وعد في احدى رسائله الى ابن المنذر يحذره من مغبة الخروج عن السلطان بقوله:" **والقدح في الدول وانتظار مهدي يصلح به الوضع،لا يعتقده حصين ولا يظن مثله بمسلم الا ضعيف فكن كما انت في اكرام الكبراء وانعاش الفقراء ولا تبالي بمن عاداك ظالما لك**" [1].

وبالتالي نلاحظ أن الفرع الاول من التصوف وأتباعه لم يعرف صدمات عنيفة مع السلطة المرابطية وهذا يعود ربما الى مسلكهم التقشفي الزهدي البعيد عن الخوض في السياسة وحتى الفلسفة التي كانت من الامور المحضورة خلال هذه الفترة، لكن الاكيد هنا أن الظروف العصيبة التي كانت تمر بها الدولة المرابطية خلقت انعكاسات سلبية على جميع الاصعدة وعلى الاخص الجانب الاجتماعي، جعلت الأمراء المرابطين يلينون بعض الشيء في تعاملهم مه هذه الفئة وذلك بهدف تحييدهم على الاقل وضمان ولائهم حتى ولو كان ولاءا ظاهريا.

### 3.1.2. موقف السلطة المرابطية من التيار الصوفي الثوري وسياسة القمع :

تعاملت السلطة المرابطية باسلوب مغاير للذي اتبعته مع ابن العريف، حيث تميز هذا الاسلوب بالقسوة والعنف خاصة مع باقي الزعماء الصوفية أمثال ابن برجان والميورقي اللذين صاحبا ابن العريف في رحلته الى مراكش ،حيث تعرضا للاستنطاق والتعذيب ثم السجن، الأول توفي مسجون ورفض الأمير علي بن يوسف الصلاة عليه، أما الميورقي فتمكن من الفرار الى بجاية وتوفي بها[2]، هذا مايؤكد على توتر علاقة الأمراء المرابطين بالمتصوفة.

[1] – ابن العريف: المصدر السابق ، ص213.

[2] – سعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي المرابطون، صنهاجة الصحراء الملثمون في المغرب والسودان والاندلس**، ط1، دار المعارف، مصر، 1995م، ص 415.

وبهذا يمكن القول أن سياسة الأمراء المرابطين تجاه أتباع المنحى الصوفي تراوحت بين الاعتقال والسجن والمطاردة والمراقبة الشديدة [1].

ان الضعف في الدولة او الليونة في التعامل معهم جعل بعض أتباع التصوف يحولون التصوف عن مساره الأصلي ويحمل السلاح من أجل الوصول الى اهداف معينة واقامة كيان سياسي للمتصوفة، حيث شهدت الدولة تفجير ثورة المريدين أو ثورة المتصوفة بزعامة ابن قسي والتي تعد سابقة اولى من نوعها، حيث استمدت هذه الثورة نفوذها من أوضاع السكان وتذمرهم من اجل كسب المزيد من التأييد الشعبي للظهور بمظهر المنقذ والمخلص من بواثن الحكم المرابطي، فكان على الدولة التصدي لهم بالسيف.

وبالتالي فان فترة النصف الاول من القرن 6هـ شهدت عداء شديد بين الأمراء المرابطين والمتصوفة، ومع ذلك لا يمكننا ان ننفي وجود بعض حالات التقارب، الا أنها قليلة نوعا ما كما انها لا تستمر طويلا إذ سرعان ما تعود حالة التوتر والعداء بين الطرفين ، وكل هذا يتدخل طرف ثالث وهو الفقهاء المالكية العدو التقليدي للمتصوفة .

لقد شكل فقهاء المالكية شريحة اجتماعية لها وزنها حيث وصلت لدرجة الشفاعة وأن الأمراء لا يتخذون قرار الا باستشارتهم، لكن هؤلاء الفقهاء استبدلوا تلك الصيغة الدينية التي كانت تميزهم بصيغة مادية سلطوية ما جلب لهم سخط العامة واستنكارهم لامتيازاتهم المتزايدة ومنافسة فئة أخرى خاصة في الأوساط الشعبية التي وجدت متنفسها في زهاد وصلحاء عندها أدرك المتصوفة أن الفرصة مواتية لاستقطاب الكثير من المظلومين وبغض النظر عن تذمر الفئات الاجتماعية إلا ان الصراع الحقيقي انحصر بين الفقهاء والمتصوفة [2].

[1] – جمال علال البختي: **الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب الى حدود القرن السابع هجري**،ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر 2005م، ص 20.

[2] – نفسه، ص 52.

فاغلب الفقهاء المالكية حجروا على حرية الفكر ومنعوا اي محاولة للتجديد الفردي بالاخص وحتى الجماعي، خاصة فئة المتصوفة التي يرون فيها فئة مبتدعة.

ان جوهر الصراع بين الطرفين هو الاختلاف من حيث الاختصاص فنجد ان الفقهاء قد اختصوا بالفتاوى والاحكام العامة في العبادات والمعاملات فحين تميز الصوفية فحين تميز الصوفية بالمجاهدات ومحاسبة النفس والكلام في الاذواق [1]، اي علم الباطن اذا هو خلاف معرفي داخل الدائرة المالكية على اساس ان اغلب المتصوفة كانوا مالكيين المذهب رغم انه لا يمكننا ان ننفي حالة التعايش السلمي التي جمعت بينهما في بعض الفترات المبكرة من الحكم المرابطي واكبر دليل على هذا العداء هو احراق كتاب احياء علوم الدين للامام ابو حامد الغزالي فهو الذي قال فيه : " انما فسدت الرعية بفساد الملوك ، وفساد الملوك بفساد العلماء فلو لا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفا من انكارهم "[2].

ان تضارب نصوص الاحياء مع واقع الفقهاء في الدولة المرابطية وحياة البذخ التي كانوا يعيشونها جعل الكتاب يلقى معارضة لديهم بعكس ما وجد من ترحاب في اوساط المتصوفة وعامة الناس، ان السلطة المرابطية اتبعت سياسات عديدة اتجاه فئة المتصوفة [3] تراوحت بين الشد واللين الا ان الشيء المميز لها تفوق سياسة العنف والشدة خاصة خلال فترة حكم الامير المرابطي علي بن يوسف، ومع ذلك نلاحظ بعض الانفراج من الشدة الى اللين خاصة في السنوات الاخيرة من عمر الدولة المرابطية [4] .

لقد تنامى التيار الصوفي خلال القرن 6 هـ خاصة مع الظرفية السياسة و الاقتصادية وحتى الاجتماعية التي كان يعيشها المجتمع المغربي، وقد استفاد الموحدون من هذا الصراع من اجل بسط سيطرتهم ونفوذهم على

[1] – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 210.

[2] – نفسه، ص 209.

[3] – ابو حامد الغزالي: **احياء علوم الدين**، دار المصرية اللبنانية، لبنان، دت، ص 73.

[4] – ابراهيم القادري بوتشيش: **وقع خطاب كتاب الاحياء للامام الغزالي في المجتمع الغرب الاسلامي ضمن كتاب اضاءات حول تراث الغرب الاسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماع**، المرجع السابق ، ص 236.

المنطقة استمر هذا الوضع قائما حتي سقوط دولة المرابطين ومجيء الموحدين الذين قامت دولتهم على اساس مذهب مغاير للمذاهب المعروفة في تلك الفترة فكيف كان الموقف الرسمي للخلفاء الموحدين من فئة المتصوفة، هل استمر العمل بالسياسية المرابطية المتبعة ضدهم ام كان هناك تغير في الاسلوب ؟

### 3.2. موقف السلطة الموحدية من المتصوفة :

### 3.2.1. موقف اللين والاحتواء أسبابه ومظاهره :

- **مظاهر سياسة اللين مع المتصوفة :**

يزعم مؤرخي الدولة الموحدية الرسميين ونقلها فيما بعد من جاء بعدهم ان محمد بن تومرت قد التقى بالإمام ابي حامد الغزالي وكلنا يعرف وجهة الغزالي في فقهاء السلطان والتي كانت وراء عملية حرق كتابه [1]، وإذا زدنا عليها ما عرف عنه من زهد وتقشف يمكن القول بان ابن تومرت نجح الى حد كبير في استثمار التيار الصوفي خاصة بعد ما اظهره من زهد ومحاولة تغيير المنكرات، ولذا رأت فيه الصوفية مساعد لها في عمليتها التّصوفية في المجتمع المغربي الذي كان يعاني من أمراض اجتماعية كثيرة عجزت الجماعات الصوفية عن القضاء عليها، وذلك لان السلطة في حد ذاتها كانت تساهم في تفشيها كظاهرة الخمر و الرشوة وغيرها من المظاهر، ان محاولة المهدي رد الاعتبار للغزالي والانتقام من خصمه المرابطي كانت السبب وراء اعلانه ثورته المشهورة التي كللت بقيام دولة الموحدين[2].

[1] – على رأس هؤلاء المؤرخين ابن يقظان الذي اكد لقاء ابن تومرت بالإمام الغزالي في رواية تناقلها المؤرخين الذين اتو بعده كابن عذارى المراكشي وصاحب الحلل .

[2] – التميمي: المصدر السابق، ص 40.

بهذا يكون ابن تومرت قد اتبع سياسة إحتوائية لفئة المتصوفة للحد من خطرهم خاصة وانه كان يعلم علم اليقين مدى خطورتهم عن الوسط المغربي الى غاية وفاته (524هـ/ 1129م) [1]، فهل حافظ من جاء بعده من خلفاء الموحدين على نفس السياسة ام كان هناك تغيير ؟

## أ. فترة عبد المؤمن بن علي ( 524–558هـ/1120–1163م):

لقد اولى عبد المؤمن بن علي اهتمام خاص بفئة الصوفية فترة حكمه[2] لكونه تلقى علومه الصوفية على يد المتصوف أبي محمد عبد السلام التونسي قبل لقائه بالمهدي بن تومرت في رباط **ميلة** [3] سنة (512 هـ/ 1118م) [4]، وهذا كان عامل على التقرب منهم ومن مظاهر هذا التقرب ان الخليفة قد اقطع الاراضي لهم ليسترزقوا منها ومثال ذلك عبد المؤمن بن علي حرر ظهيرا منح بموجبه في بجاية للصوفي أبي النجم هلال بن يونس الغبريني أرضا زراعية بالإضافة الى ذلك وظّف الموحدون كرامات المتصوفة لصالحهم كما فعل عبد المؤمن بن علي الذي استعان بكرامات المتصوف ابى يعزى لترهيب العرب الهلالية واحكام السيطرة عليهم [5]،كما اجزل الخلفاء الموحدون في هذه الفترة عطاءاتهم للمتصوفة حيث خصصوا مبالغ مالية ضمن الشرائح الاجتماعية [6] التي لا عمل لها، حيث عمد امراء بني عبد المؤمن ورجال دولتهم الى توزيع صدقاتهم على الفقراء والمحتاجين واحسنوا اليهم[7].

---

[1] – البيذق: المصدر السابق، ص 79.

[2] – فاطمة الزهرة جدو: المرجع السابق، ص 99.

[3] – **ميلة**: مدينة عتيقة على بعد 12 ميل من قسنطينة، تحيط بها اسوار قديمة وفي ساحة المدينة عين جارية يستعمل ماؤها لمختلف حاجات السكان. انظر: الحسن الوزان: **وصف إفريقيا**، تر. محمد حجي ومحمد الاخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م، ص 60.

[4] – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 198.

[5] –عز الدين احمد موسى: **النشاط الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ/12م**، ط1، دار الشروق، بيروت، 1983 م ص 344.

[6] – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 199.

[7] – لخضر محمد بو لطيف: **الفقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي 1116–1299م**، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت، 2002م، ص 326.

وما يمكن قوله عن فترة حكم عبد المؤمن أنها لم تشهد اشتباكات مع فئة المتصوفة، حيث أنّ كتب التراجم التي الفت في هذه الفترة لا تشير الى أي صدام مسلح بين السلطة الموحدية والمتصوفة، وخلال فترة حكم عبد المؤمن انقسم المتصوفة الى قسمين: مجموعة ابتعدت عن الحكم ورفضت محاولة التعاون معه ومجموعة تقلدت الوظائف في الدولة [1](كما سبق الإشارة إليه في الفصل الأول).

**ب. فترة ابو يعقوب يوسف (558-580هـ/ 1163-1184):**

عرف أبو يعقوب يوسف بميله الى الفلسفة والاهتمام من صحبه من العلماء أبوبكر بن المقبل والقاضي أبو الوليد بن رشد، وقد عرفت فترة حكمه بفترة العصر الذهبي، نظرا لكون الخليفة زاهدا ومتقشفا ويلبس الثياب الخشنة ويقتصر على القليل من الطعام ولفرط إعجابه بالصوفية كان يكاتبهم ويسألهم الدعاء ويحسن إليهم، لذا كثر في عهده المبتلون والصلحاء وانتشروا في كافة أنحاء المغرب [2]، هذا ما يؤكد انه في هذه الفترة كانت هناك محاولات من اجل كسب تأييد بعض الشيوخ المتصوفة واحتوائهم من طرف السلطة الموحدية [3] فنجد ان هذه السياسة عكست بعض الانفراج النسبي على العلاقة مع السلطة الموحدية، ومثال ذلك تعين بعض المتصوفة في مناصب إدارية، أمثال أبو محمد بن موسى الجراوي الذي تصفه المصادر بكونه أحد أشياخ المغرب في الدين والفضل والزهد والورع والتقشف والمجاهدة، فقد تولى منصب الخطابة بجامع القيروان بفاس بعد وفاة سلفه أبي الحسن بن عطية توفي ( 558هـ/ 1163م).

**ت. فترة أبو يوسف يعقوب المنصور (580-595هـ/1184-1199م )**

بوصوله للحكم سنة (580هـ) وجد نفسه بين خصمين تقليديين، المتصوفة من جهة وفقهاء المالكية من جهة أخرى واول ما قام به الخليفة المنصور محاولة القضاء على المذهب المالكي وبذلك عمد حرق مدونة

[1] – فاطمة الزهراء جدو: المرجع السابق، ص 100.

[2] –الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 198 .

[3] – التميمي: المصدر السابق، ص 51.

الامام سحنون[1]، ونوادر ابن ابي يزيد ومختصرة المسمى بالرسالة وفي مقابل ذلك قرب اليه فقهاء المذهب الظاهري لحصر المذهب المالكي وخنق أنفاسه وجعله بين فكي كماشة علماء الحديث وفقهاء الظاهر من جهة، ومن جهة اخرى المتصوفة للقضاء على المذهب المالكي المتأصل بالمغرب[2]،كما أن السلطة الموحدية لم تكن تجهل خطر الصوفية على الجهاز الموحدي كسلطة فعمل الخليفة المنصور على كسبهم والتقرب منهم حيث كان يكاتب صوفية المغرب والاندلس ويستدعيهم الى عاصمة دولته مراكش[3]، وكان من مظاهر كسبه الصوفية ما حظى به أبي عبد الله ابن الحجام التلمساني [4] (ت627هـ/1229م )، بإحسان من طرف الخليفة المنصور بما أجزل له من عطاءات كما اقطع للصوفي عبد الله بن عبد الصمد ابن اورجيع زعيم اسرة بني خزون [5]، وصهر قبيلة مغرواة الزناتية [6] أرضا بوادي الشلف [7] كما كان الموحدون في هذه الفترة يحضرون جنائز الصوفية ويتكلفون بتجهيز مراسم دفنهم ارضاء لشعور اتباعهم كما فعلوا مع الصوفي ابي زكرياء يحي الزواوي فلما توفي ارسل والي بجاية نقيبا وكلفه بالمحافظة على جثته وكلف امنائه بتجهيز الجنازة وحضر لصلاة عليه[8].

[1] – هو ابن عبد الله بن عبد السلام المعروف بسحنون بن سعيد القيرواني وابوه هو الفقيه قاضي القيروان كان من امة الفقه المالكي بإفريقية سنة 255 هـ/ 870م. انظر ابن فرحون المالكي: **كشف النقاب الحاجب في مصطلح ابن الحاجب**، تح. حمزة أبو فاس و عبد السلام الشريف ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص 72 .

[2] – فاطمة الزهراء جدو: المرجع السابق، ص 104 .

[3] – التميمي: المصدر السابق، ص 61.

[4] – هو محمد ابن احمد بن محمد اللخمي من اهل تلمسان، واصله من مكناسة، كان فاضلا صالحا زاهدا، مال الى طريقة الوعظ والتذكير، فرأس فيها اهل عصره. انظر: ابن الزيات: المصدر السابق، ص 439.

[5] – تعود جذور هذه الاسرة في المغرب الاوسط الى خزرون ابن خليفة أحد ملوك طرابلس، نزل اولا في جبل اوراس، ثم انتقل الى زواوة، ثم رحل الى قبائل مغرواة من بني ورسيفيا، وبني ترمين وبني بوسعيد، فاكرموه وصاهروه، وبقيت اسرته موقرة الجانب عند القبائل الزناتية. انظر: ابن خلدون: **العبر**، ج 7، ص 132.

[6] – هم ابناء مغراوة بن يصلتين وجدهم الاكبر هو زانا ابن يحي وهم اخوة بني يفرن وبني يرنيان وبني وسين ، وقبيلة مغراوة تمتد على شاطيء البحر المتوسط قريبة من مستغانم. انظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 44.

[7] – ابن خلدون: العبر، ج7، ص132.

[8] – الغبريني: المصدر السابق، ص 138.

لم تكن جهود السلطة الموحدية في هذه الفترة تقوم على فعل ملاحقة المتصوفة ولكن عملت أيضا على اتجاه احتواء الحركة الصوفية وتجنيدها والواقع ان شهادة عبد الواحد المراكشي حول علاقة المنصور بالأولياء والمتصوفة غنية على كل تعريف، إذ أن من مآثر المنصور انه يستدعى الصالحين من البلاد ويكتب اليهم ويسألهم الدعاء، ويصل من يقبل صلته منهم ومن هذا المنطلق تتضح سياسة الموحدين في استثمار شريحة الصوفية لخدمة اغراضهم طالما لم يتمكنوا من القضاء على الفقر المتفشي والتمايز الطبقي داخل المجتمع[1].

لقد حاول المنصور استقطاب تيار التصوف الى صفه وقد وردت عبارتها في بعض المصادر فابن أبي زرع مثلا يصفه" ...محبا في العلماء معظما لهم صادر عن رأيهم كثير الصدقة محبا في الجهاد مواضبا عليه يشهد جنائز الفقهاء والصلحاء ويزورهم للتبرك " وقد سانده صاحب المؤنس في ما ذهب اليه في قوله : " من اجل ملوك الموحدين محبا للعلماء يحضر جنائزهم ويزور الصالحين ويتبرك بهم عالما بالحديث "[2].

من خلال هذين النصين يتبين لنا دبلوماسية المنصور الموحدي في كسبه للصوفية والمساندة التي ابداها المتصوفة لمؤازرة المنصور في حملته الجهادية في الاندلس للحد من نشاط القوى النصرانية في الشمال وقد كان النصر حليفه في اغلب الحملات واشهر هذه الانتصارات التي كان لها صدى واسع في جميع الاوساط بما فيها فئة الصوفية " موقعة الارك "حيث كان معه في هذه المعركة فقهاء المغرب وصلحاءه كما أخبرنا ذلك صاحب روض القرطاس.

وانطلاقا مما سبق يمكن القول ان سياسة المنصور التقاربية قد نجحت الى حد كبير في استقطاب عدد من المتصوفة.

[1] – مبارك بن محمد الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تح. محمد الميلي، ج2، د ط، د ن، د ت، ص 306.

[2] – ابن أبي زرع: المصدر السابق ، ص 216.

- **أسباب سياسة اللين من قبل السلطة الموحدية مع المتصوفة:**

✓ كوْن بعض السلاطين الموحدين قد تلقوا علومهم على يد شيوخ متصوفين مثل السلطان عبد المؤمن بن علي الذي تلقى علومه على يد المتصوف ابي محمد عبد السلام التونسي وهذا كان عاملا على التقرب من فئة المتصوفة .

✓ الميول الشخصية لبعض السلاطين للزهد والفلسفة، واهتمامهم بالعلماء واتصافهم بالورع والتقشف امثال السلطان أبو يعقوب يوسف[1]، جعلت لفئة المتصوفة لديهم مكانة خاصة في قلوبهم ماساهم في التقرب منهم.

✓ بالإضافة الى بعض الأهداف غير البريئة، فنجد ان محاولة المؤرخين الرسميين للدولة الموحدية لربط حركة إمامهم ابن تومرت بالإمام الغزالي والمزج بين فكره والفكر الصوفي[2]، كانت تهدف الى اضفاء الصبغة الروحية الى دعوته واعتبار ابن تومرت المدافع الشهم عن الفكر الغزالي كان الغاية منها كسب المزيد من التأييد الشعبي خاصة بعد المكانة التي اصبح يحظى بها الامام الغزالي في اوساط العامة بعد احراق كتابه وحتى داخل الأوساط الصوفية، وبالتالي كان ما قام به ابن تومرت محاولة استثمار التيار الصوفي لحد كبير خاصة وانه كان بحاجة ماسة للدعم في مواجهته مع السلطة المرابطية لإنجاح مشروع دولته الموحدية.

✓ لم تكن السلطة الموحدية تجهل خطر المشايخ الصوفية على الجهاز الموحدي كسلطة، فعملت على كسبهم والتقرب منهم في محاولة منها لتجنيدهم في مصلحتها، وذلك بتوظيف سياسة الموحدين لاستثمار شريحة الصوفية لخدمة اغراضهم، وبتالي فان المحاولات التي قام بها خلفاء الموحدين من اجل كسب تأييد بعض شيوخ التصوف لم تكن من اجل حبهم لهذه الفئة، او اقتناعا بما جاءت به، بل محاولة لاحتوائها وجعلها تدور في فلكهم.

[1] – ابن الخطيب السلماني: **أعمال الإعلام**، تح. ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، 1956م، ص 269.

[2] – التميمي: المصدر السابق، ص 40.

- ✓ وجد الموحدون فائدة كبيرة لهم في توظيف كرامات المتصوفة لصالحهم ومن أمثلة ذلك ما فعله السلطان عبد المؤمن بن علي الذي استعان بكرامات المتصوف أبي يعزى التي تقول أن حمارا سياكله السبع الليلة فوجد الخليفة ان يضع الحمار بين مربط خيله وبين العبيد فلما اصبح وجد العبيد تفرقوا فارين والسبع يأكل الحمار فقتل الشيخ السبع فقال عبد المؤمن لهم ان الشيخ يقول لكم أنا رب الحمار لهذا قتلت من قتله وانا عبد ربي فان قتلتموني غضب لي سيدي "، وقد وظّف الخليفة عبد المؤمن هذه الكرامة لصالحه لكي يبين ان لكل واحد رب يحميه وان للدولة الموحدية رب يحميها [1].
- ✓ فشل سياسة العنف والمواجهة التي اتبعها بعض الخلفاء الموحدين في كسر شوكة تيار الصوفية او الحد من نفوذ رجالهم، لم تثمر هذه السياسة فاضطروا لتغييرها.
- ✓ وجدت فئة الصوفية في السلطة الموحدية مساعدا لها في عمليتها الاصلاحية في المجتمع المغربي الذي كان يعاني من أمراض اجتماعية كثيرة عجز الصوفية لوحدهم في القضاء عليها.
- ✓ لطالما سعى المتصوفة الى فرض احترامهم سواء ان تعلق الأمر بالعامة او الخاصة فكانوا محل احترام وتبجيل.

### 3.2.2. موقف العنف والقمع أسبابه ومظاهره:

- **مظاهر سياسة العنف مع المتصوفة:**

#### أ. فترة عبد المؤمن بن علي ( 524 – 558هـ/ 1120–1163م ):

لقد ارتبط حضور المتصوفة في اذهان العامة بما يتمتعون به من قدرات خارقة تجعل منهم اندادا للسلطة الحاكمة في تكريس معتقداتهم لذلك توترت العلاقة بين السلطة والمتصوفة عند اتخاذ مواقفهم وتصوراتهم لجور العمال والولاة مدافعين على حقوق المظلومين بتوظيف كراماتهم، والقارئ لكرامات ابي يعزى(ت 572هـ/

[1] – لخضر محمد بو لطيف: المرجع السابق، ص 324.

1177م) التي تعكس سلطة عبد المؤمن، وحملت في طياتها الصراع والتنافس للتحكم في العامة[1]، فعمل الخليفة عبد المؤمن بأن وشى بأبي يعزى عندما استدعاه الى مراكش سنة (541هـ/1147م) حتى يختبره ويعرف حقيقة المكاشفات التي اشتهر بها، عند وصوله كاشف الخليفة ببعض الامور، الا ان هذا الاخير اراد ان يأتيه بمكاشفات أخرى، وتعرض أبو يعزى للسجن من قبل عامل الخليفة اذ سجنه مع الوحوش والسباع الجائعة، الا انها لم تفترسه، بل التفت حوله، وهذا ما اخاف العامل وارهقه فأمر بإطلاقه، كما اشخص الى مراكش في السنة نفسها ابو شعيب.

لقد تحكمت في الإستراتيجية التي اتبعها هذا الخليفة اتجاه اتباع المذهب الصوفي ظهور ثورتين هامتين [2] ضد سلطة الموحدين خلال السنوات (539-546هـ/ 1144-1151م) كما سبق ذكره في الفصل الاول بزعامة الشخصيتين ذات منحى صوفي الاولى في بلاد الاندلس (539هـ/1144م ) تزعمها ابن ابو القاسم احمد بن الحسين بن قسي ( ت 546هـ/1141م )، أما الثانية في بلاد المغرب بقيادة " ابن هود " ضد الموحدين برباط **ماسة** [3] بمساندة جماعة من الصوفية المتمركزة بهذا الرباط [4]، أي ان عبد المؤمن عاصر مرحلة تحول التصوف الى حركة ذات طموحات سياسية خاصة وانه في هذه المرحلة سعى جاهدا الى إرساء دعائم دولته، وقد كان لهذا الأمر تأثيره المباشر على موقف الخليفة من المتصوفة اذا اضحت الحيطة والصرامة والحذر من سمات سياسته اتجاههم بالرغم من القضاء على هذه الثورات[5].

[1] – لخضر محمد بو لطيف: المرجع السابق، ص 326.

[2] – التميمي: المصدر السابق، ص 41.

[3] – **ماسة**: نهر في بلاد السوس الاقصى بالمغرب به رباط الصالحين يبعد عن لمطة بثلاث مراحل. انظر: الحميري: المصدر السابق ، ص522.

[4] – لخضر محمد بو لطيف: نفسه، ص 324.

[5] – التميمي:نفسه، ص 41.

**ب. فترة أبو يعقوب يوسف ( 558– 580هـ/ 1163– 1184م ) :**

بالرغم من سياسة اللين والتعاطف التي بدت منه تجاه بعض الفروع كالفلسفة، الا ان علاقة الموحدين مع اتباع التصوف خلال هذه الفترة قد تميزت بالتوتر رغم المحاولات التي وجدت، ويعد الصوفي " ابو محمد عبد الله القطان " شيخ ابن عربي أفضل نموذج للعلاقة المتأرجحة بين تعنت المتصوفة وانتقاداتهم اللاذعة للسلطة، وشدة وقسوة السلطة في التعامل معها، والتي كادت ان تصل الى حد القتل، مثلما حصل مع القطان، فقد ذكر لنا تلميذه ابن عربي انتقاداته الشديدة التي كان يوجهها لخلفاء الموحدين وممثليهم دون خوف أو كلل[1]، فقد كان يصدع بالأمر، لا تأخذه في الله لومة لائم، يرد كلام السلاطين في وجوههم، لا يبالي تعريض نفسه للقتل من كثرة سبه لأفعال السلاطين وما هم عليه من مخالفة الشريعة، ويذكر تلميذه محي الدين بن عربي، أن السلطان وجه فيه ليقتله، فأخذه الأعوان ودخلوا به على الوزير الذي امر اعوانه بسجنه حتى يشاور السلطان في مجلس الوزراء والفقهاء، وعندها لم يجد الخليفة من مخرج سوى اطلاق صراحه وكان يصيح ويرفع صوته امام ارباب الدولة [2] ويقول هؤلاء الفجار بغوا في الارض.

وكان من الطبيعي ان تؤدي تلك العلاقة المتسمة بالنفور بين المتصوفة والسلطة الموحدية في هذه المرحلة الى مواجهات مسلحة تجسدت في ثورة غامضة اندلعت في اواخر عهد الخليفة ابي يعقوب يوسف بقيادة احد المتصوفة الذي لا نعرف سوى اسمه عتاب وابن الزيات هو المؤلف الوحيد الذي يشير الى هذه الثورة في مناسبتين، ومن المؤكد ان حركة عتاب ما كان لها ان تقع دون دعم المتصوفة والمريدين، الذين عانوا من القمع الموحدي، والذين كانت لهم علاقة مباشرة بهذا الرباط، الذي أصبح آخر القرن السادس هجري (6هـ) يشكل

[1]– فاطمة الزهراء جدو: المرجع السابق، ص 102.

[2]– التميمي: المصدر السابق، ص 52.

مركز اصطدام بين المريديين وممثل السلطة الموحدية، خاصة عندما فرضت السلطة الموحدية رقابة مستمرة على بعض المتصوفة لتخويفها من نشر تعاليم مخالفة لها[1].

لقد اتخذت السلطة الموحدية موقف مستريبا من رجال التصوف خلال هذه الفترة واتخذت من المراقبة والتطويق والإشخاص وسيلة لخنق أنفاسهم،كما عملت على طردهم حيث كان الجراوي احد فقهاء فاس، الذين ايدوا الشيخ ابي يعزى في وقت كانت انشطة هذا الاخير قد استنكرها فقهاء المدينة وهذا ما جلب عليه سخط الخليفة الموحدي وقام بعزله من منصب الخطابة [2]، وهذا ما يعطينا الدليل الواضح على ان العلاقة بين المتصوفة والسلطة الموحدية خلال هذه الفترة شهدت توترا كبيرا.

**ت. فترة ابو يوسف يعقوب المنصور (580-595هـ/ 1184-1122م ):**

على الرغم من اهتمام الموحدين بالصوفية والاعتناء بهذه الشريحة والسهر على خدمتها في هذه الفترة لكن هناك من الصوفية من رفض التقرب من السلطة الموحدية بالنقد والمعارضة السلمية [3]، ويعد ابو مدين شعيب نموذجا بارزا في كشف وتحليل الجور السياسي الذي مارسه ولاة الموحدين في بجاية خلال عهد الخليفة المنصور فيرى انه ناتج عن فاسد المجتمع معبرا عن هذه العلاقة بقوله: " فساد العامة يظهر ولاة الجور "[4] الأمر الذي دفع بأحد المؤرخين الى اعتباره اول صوفي زرع بذرة العمل السياسي للصوفية، الذي امر بضرورة احترام الاولياء والمتصوفة وتهديد كل من قلل من احترامهم في قوله: "من حرّم احترام الاولياء ابتلاه الله بالمقت من خلقه "، وهذا ما يدل على انهم سعوا دائما الى فرض احترامهم.

[1] – ابن القنفذ القسنطيني: **انس الفقير وعز الحقير**، تح. محمد الفاسي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1968م، ص 23.

[2] – ابن الزيات: المصدر السابق، ص 339.

[3] – احمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، ص 129.

[4] – الغبريني: المصدر السابق، ص 63.

لقد كان أبو مدين يلجا الى غيره من المتصوفة خوفا من السلطة الموحدية كإبن عمران موسى الحلاج الفاسي[1] خوفا من السلطة الموحدية وهذا ما جعلها تثور عليه، خاصة وان بعضهم قد وشى به لدى الخليفة المنصور بحجة انه شبيه بالمهدي بن تومرت [2]، وشاع في الأفاق ذكره، ولما خوطب في شأنه أمير المؤمنين، بأن هذا رجل يخاف منه على دولتكم، فان له شبه بالإمام المهدي وله أتباع كثيرون وأصحابه في كل بلد[3]، فكان أن وقع في قلبه وأهمه شأنه، فبعث إليه بالقدوم ليختبره [4]، وقد شهد عهد المنصور استدعاء متصوفة أخرين ارتابت السلطة في أمرهم، حتى وان كان اقل شعبية من ابي مدين، وكان من بينهم ابي عبد الله بن الحجام التلمساني.

بالرغم من سياسة الانفتاح التي سار عليها المنصور، الا ان سياسة المراقبة والحذر والتوجس قد استمرت في عهده رغم عدم بروز مظاهر العنف والمواجهة المباشرة التي انتهجها سابقيه، وعلى الرغم من ذلك نجده يسلك سياسة المهادنة مع بعض الرقابة والصرامة.

- **أسباب سياسة العنف من قبل السلطة الموحدية مع المتصوفة:**

✓ ارتباط حضور المتصوفة في اذهان العامة بما يتمتعون به من قدرات خارقة تجعل منهم اندادا للسلطة الحاكمة في تكريس معتقداتهم، لذلك توترت العلاقة بين السلطة والمتصوفة.

✓ اتخاذهم مواقف وتصورات من جور العمال والولاة مدافعين عن حقوق المظلومين بتوظيف كراماتهم.

✓ الصراع والتنافس بين السلطة الموحدية والمتصوفة من أجل التحكم في العامة وكسب الشعبية والجماهير.

[1] – ابن القنفذ: المصدر السابق، ص38.

[2] – المقري: **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب**، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، ص142.

[3] – ابن قنفذ: نفسه، ص102.

[4] – ابراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ من عصر ما قبل التاريخ الى نهاية دولة الموحدين**، ج1، د ط، الدار البيضاء، د س، ص309.

- ✓ ظهور ثورات صوفية ضد السلطة الموحدية، مثل الثورة التي تزعمها أبي القاسم أحمد بن الحسن بن قسي في الأندلس وأخرى ببلاد المغرب بقيادة ابن هود ضد الموحدين[1].
- ✓ تحول التصوف الى حركة ذات طموحات سياسية أضحت الحيطة والصرامة والحذر من سمات سياسة السلطة اتجاههم بالرغم من القضاء على هذه الثورات.
- ✓ تعنت المتصوفة وانتقاداتهم اللاذعة للسلطة مثل انتقادات المتصوف محمد بن عبد الله القطان للحكام دون خوف.
- ✓ الرقابة المستمرة على بعض المتصوفة لتخويفها من نشر تعاليم معارضة لها.
- ✓ خطر الصوفية على الجهاز الموحدي كسلطة من جهة قدرتها على التعبئة الشعبية وكذلك الامكانات المادي القادرة على تجميعها.
- ✓ رفض بعض المتصوفة التقرب من السلطة ونقدها ومعارضتها سلميا.
- ✓ محاولة المتصوفة ودورهم الاجتماعي في كشف وتحليل ظاهرة الجو السياسي الذي مارسه ولاة الموحدين من خلال بعض الاقاويل المتداولة بين الجماهير على لسانهم.
- ✓ وجود نماذج لشيوخ متصوفة ظلوا على موقفهم في مقاطعة للحكام وعطاياهم.
- ✓ تحريض فئة الفقهاء على المتصوفة والوشاية بهم لدى السلطة الموحدية وتخويفهم منهم.

[1] – المقري: المصدر السابق، ص324.

**4. علاقة أبو مدين شعيب بالمنصور واسباب اهتمام هذا الأخير به:**

**4.1. أهم المتصوفة في العهد الموحدي:**

**1. أبي يعزى(ت 572هـ/1176م):**

هو أبو يعزى يلنور بن ميمون وأل النور بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أبي بكر المغربي ولد (488هـ/1095م) بجبال تيغنيست بالأطلس الكبير بأغمات ويلان جنوبي مراكش،عاش اكثر من 100 عام تجول في مختلف أنحاء المغرب،كان راعي، عاش بفاس وتلقى بها العلم على يد مشايخها كأبي بكر بن عربي، وكان يعرف بكراماته، وكان المريدون يرهبونه ويتهافتون عليه، خصه أبو العباس العزفي السبتي بكتاب جمع فيه مناقبه سماه "دعامة اليقين في زعامة المتقين "[1].

**2. أبو العباس السبتي(ت601هـ/1204م):**

وهو أحمد بن جعفر الخزرجي ولد سنة (524هـ/1129م) بسبته، درس على يد عبد الله الفخار ثم رحل الى مراكش،كان في بداية عمله يقرأ الحساب والنحو ويأخذ على ذلك أجرا [2]، وعُرف بكراماته الكثيرة[3].

**3. أبو الحسن علي بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم(ت 559هـ/1168م):**

ولد بفاس ونشأ بها، وكان من كبار الفقهاء، زاهد في الدنيا،كان من شجرة نسل ولد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه،كما أنه من المتصوفة المخضرمين،كان من كبار الصوفية في عهد المرابطين والموحدين

[1] – ابن الزيات: المصدر السابق، ص216.

[2] – جمال علال: المرجع السابق، ص73.

[3] – ابن الخطيب: المصدر السابق، ص152.

درس على يد الشيخ أبي الحسن وكبار اصحاب الطرق الصوفية فيما بعد كعبد السلام بن مشيش وأبو مدين شعيب، كانت له كرامات كثيرة[1].

### 4.2. علاقة أبو مدين شعيب بالمنصور:

ان الحديث عن أسباب اهتمام المنصور بالشيخ ابو مدين شعيب تقودنا مباشرة للبحث في طبيعة العلاقة التي جمعت بينهما وفي نوايا كل واحد منهما تجاه الآخر، ولعل من أهم اسباب اهتمام الخليفة المنصور بأبي مدين هو تحول التيار الصوفي عن مساره، من الاطار التبشيري الى الاطار السياسي[2]، وبدأت المعالم الأولى للطرق الصوفية تتشكل في العهد الموحدي جراء التحولات التي طرأت على بنية المجتمع، ومن هنا بدأ اهتمام السلطة المتمثلة في المنصور ينصب على زعماء التصوف امثال أبو مدين شعيب، بالإضافة الى الأدوار الأخرى المهمة التي قام بها رجال التصوف الذي تجعله محل اهتمام الجميع بما فيهم السلطة.

إذا تجاوزنا الجانب الروحي اي دور التأهيل للاكتمال والحرية ازاء العالم وهو الدور الاساسي الذي هو في الاصل في المنهاج الصوفي والتفتنا الى الأدوار المحسوسة ذات الاثار التاريخية وجدنا تجلياتها تشمل جوانب كثيرة منها واهمها الدور السياسي ويتجلى على الخصوص في الجوانب التالية :

1. ضمان الولاء للامامة، وهذا المبدأ هو المشهور عن الصوفية تاريخيا، ومع ذلك توجد استثناءات مردها الاستفزاز والحذر الذي يجعل الحكام يعملون على تصفية القوات السياسية والاجتماعية التي يتقون شرها على الساحة السياسية، اذا عجزوا عن استعمالها الاستعمال المطلوب.
2. التوسط بين الحاكمين والمحكومين في سياق علاقات متوترة، وذلك بأساليب الشفاعة ومراجعة الحكام في موضوع تصرفات اعوانهم.

[1] – ابن قنفذ: **أنس الفقير وعز الحقير**، المصدر السابق، ص162.

[2] – التميمي: المصدر السابق، ص 22.

**3.** استعمال الهيبة للتخفيف من التعسفات ذوي الجاه وتقوية ذلك بأخبار الكرامات وهو منزع كانت له فعالية تاريخية مشهود عليها [1].

ان هذه الأسباب مجتمعة تجعل من السلطة الموحدية تولي اهتمام خاص بفئة المتصوفة بصفة عامة لكن، ما هي الأسباب التي تجعل من الخليفة المنصور يولي اهتمامه الخاص بأبي مدين شعيب؟

لقد تمكن أبو مدين من اخراج التصوف من داخل حواضر المغرب الاوسط كقلعة بني حماد وبجاية وتلمسان وبونة وقسنطينة أواخر القرن (6هـ) الى البوادي والارياف،(كما سبق أن ذكرنا ذلك في الفصل الثاني) وبهذا يكون قد فتح باب التصوف على مصرعيه أمام العامة[2]،كما تمكن ابو مدين من تحويل مدينة بجاية الى مركز اشعاع صوفي تصل منه صوفية افريقيا والمغرب الاقصى والاندلس وغيرها من المدن، هذا ما جعل ابو مدين يحظى بشعبية كبيرة في أوساط العامة، ويلقى صدى كبير وسط الجماهير العريضة.

لاشك ان هذا السبب يجعل أي خليفة في ذلك الوقت يخشى على مكانته من هكذا منافس وخصوصا بوجود تحريض قوي من قبل خصومه المعتادين كفقهاء الظاهر، الذين خسروا مكانتهم لدى العامة بسبب تقربهم الكبير من السلطة وجورهم وظلمهم للعامة، في المقابل ربح الشيخ هذه المكانة، وبالتالي أراد فقهاء الظاهر التخلص منه بأي وسيلة ممكنة، وكلنا يعرف أن مما كان يدرسه الشيخ لتلاميذه ويدافع عنه اشد دفاع هو الكتاب " إحياء علوم الدين " للإمام الغزالي، الذي خاطب فيه هؤلاء الفقهاء بأسلوب لا ذع جدا، هذا ما زاد من عداوتهم له[3].

لكن المستغرب هنا أن الشيخ أبو مدين كان محتفظا كثيرا أثناء تدريسه لكتب الإمام الغزالي أمثال"المقصد الأسنى لأسماء الله الحسنى"، إذ كان يأمر طلابه أن لا يقيدوا عنه شيء مما يقوله، هذا ما يجعلنا

[1]- ابن الزيات: المصدر السابق، ص92.

[2] - ابن عربي: **تصدير الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، تح. عبدالوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة، د ب، 1973م ص99.

[3] - ابن القنفذ: **أنس الفقير وعز الحقير**، المصدر السابق، ص15.

نتساءل لماذا طلب الشيخ أبو مدين من تلاميذته عدم كتابة شيء مما يقوله، هل كان بكلامه يسيء للدولة الموحدية ويحرض ضدها لدرجة خوفه من وصول الأخبار وتسربها؟[1] أم لأن عيون الدولة الموحدية المتعصبة لمسائل علم الظاهر كالفقه وعلم الكلام،كانت تراقبه وتتوجس منه خفية خاصة بعد الشهرة التي أصبح عليها وكثرة طلابه واصحابه وعموم اتباعه الذين اصبحوا يشكلون قوة لها خطرها على الدولة القائمة على مذهب مخالف[2].

لقد اثار أبو مدين جدل كبير في وقته، فقد ثار على اسلوب المجاهدات النفسية القاسية للمدرسة المغربية، وغير من معنى الزهد القائم على التخلي على ملذات الدنيا فلبس الثياب الحسنة وتزين برائحة المسك لعل هذه الاضافة على المعنى الذي حمله الزهد جعل من السلطة تخشى منه، فهو الذي طلب الثياب الحسنة فلا ريب أن يطالب بالسلطة تحت راية الزهد، وهنا يجعلنا نتسائل في النوايا الحقيقة للشيخ، من جعل الزهد يتماشى مع متطلبات العصر؟ هل كان معنى الزهد يحمل في طياته تطلعات للسلطة؟ لقد امتدت طريقة أبي مدين أفقيا نحو الهند وإيران وأفغانستان حتى وصلت بفضل مساعي أحد فقهاء المغاربة يكنى " رضي الدين صالح " وهو الذي يُعَدُّ حلقة محورية في نقل طريقة أبو مدين شعيب نحو المشرق انطلاقا من مكة المكرمة، وهو مريد الشيخ الكوفي أحد اصحاب ابن عربي والشيخ كمال الدين الكوفي، وقد وصلت مع الوقت طريقة أبي مدين الى أندونيسيا وبشكل متأخر الى افريقيا الشمالية[3].

هذا ما جعل الفقهاء يعملون على تحريض السلطة الموحدية على أبو مدين شعيب، حيث وشى به الفقهاء للخليفة المنصور، وعمدوا الى تلفيق التهم والأكاذيب، فراحوا يتهمونه بتشبهه بالمهدي، مما أوغل صدر الخليفة عليه فأمر بإحضاره، ومما يؤكد أن الفقهاء هم من كانوا وراء ذلك هو ان المنصور طلب من

[1] – جمال علال: المرجع السابق ، ص69.

[2] – طارق عبد الحليم: المرجع السابق ، ص71.

[3] – ابراهيم القادري بوتشيش : **وقع خطاب كتاب الاحياء**، المرجع السابق، ص155.

القائم على بجاية الاعتناء بأبي مدين وأن يراعي راحته اثناء حمله اليه، ومن هنا يظهر لنا ان الأمر لا يتعلق بالخليفة، ولو كان كذلك لأغلظ في طلب أبي مدين الذي لبّى الدعوة وسار الى مراكش حيث لقي حتفه في الطريق[1].

ان استدعاء الخليفة المنصور للشيخ ابو مدين يجعلنا نتساءل الكثير من الاسئلة، وتطرح أمامنا العديد من الفرضيات، ذلك أن أغلب المصادر تتوقف عند هذه الحادثة، ولا تقدم لنا معلومات على ذلك، هل كانت النية المبيتة للمنصور من وراء استدعاء الشيخ ابو مدين هو أذيته وتصفيته؟ [2] واذا كان هذا صحيح لماذا أصر الخليفة وأكد على عدم أذيته؟ ربما لأنه كان بين اتباعه الكثر، وربما أن هناك مؤامرة كانت تحاك ضده في القصر من قبل الفقهاء لاتهامه بالزندقة، وذلك لإضفاء الشرعية على اعتقاله وامتصاص غضب أتباعه، وربما أراد الخليفة المنصور استكمال سياسته التقاربية لفئة المتصوفة، فلقد سبق وأن حاول المنصور استقطاب كل الفئات التي يمكن أن تشكل خطرا على دولته بما فيها فئة المتصوفة، لهذا أعمد الى المسالمة والموادعة من أجل المحافظة على الاستقرار الداخلي والتفرغ لمواجهة الخطر النصراني في الاندلس وثورة بني غانية، ولعل سياسته في ذلك اتسمت بما يلي:

- القيام بمجموعة من المبادرات الاصلاحية في الجانب الاجتماعي والاخلاقي، خاصة بعد ادراكه مدى اهتمام المتصوفة بهذين الجانبين، واللذان يعتبران المجال الحيوي لنشاطها خاصة وانها تمس طبقة العامة التي تدور في فلكها، وذلك من خلال محاولة الحد من الآفات الاجتماعية التي كانت منتشرة بكثرة في المجتمع وكانت موضع شكوى وانتقادات الصوفية للسلطة واتهامها بالتساهل معها كقضية شرب الخمر وبيعه

[1] – ابن القنفذ: المصدر السابق، ص64.

[2] – ابن عبد المالك المراكشي: **الذيل والتكملة**، ص437.

واللصوصية ...الخ [1]، هذه الإجراءات كرست صورة الحاكم العادل الحريص على راحة رعيته، وعلى ما يبدوا أن الصوفية قد تلقّوها بنوع من القبول والترحاب.

- وقام ايضا بمحاولة التنظير للتعليم الصوفي، حيث أن أولى المحاولات لترسيم التعليم الصوفي وجعله اطار لتوجيه الاختيارات الثقافية العلمية للحكم الموحدي كانت من عمل الخليفة المنصور، اي أن هذا الأخير رفع من شأن التصوف الى مرتبة العلوم الاخرى القائمة بذاتها، والتي تدرس بالمدارس ولها شيوخها ومؤلفاتها[2]، ومن بين الإجراءات التي تبناها هذا الخليفة، اقامة المدارس وتخصيص ميزانيات من الخزينة العمومية لتغطية تكاليفها ومتطلباتها التربوية والتنظيمية، ومن بين المدارس الرسمية المدرسة التي خصصها لأحد أهم أقطاب التصوف المغربي في العهد الموحدي أبي عباس السبقي (ت 601هـ)، أما في الاندلس فيمكن الاشارة الى أبي القاسم عبد الرحمان السهلي الذي استدعاه الخليفة المنصور للقدوم الى عاصمته مراكش بعدما اشتهر ذكره، هذا ما يجعلنا نتساءل عن سبب استدعاء الخليفة المنصور لأبو مدين شعيب هل كانت دعوته في إطار استكمال سياسة الخليفة المنصور الجديدة التي تعمل على استقطاب أكبر عدد ممكن من زعماء التصوف؟ [3]

أما عن النوايا الحقيقة للمنصور فلا نستطيع الجزم فيها لحد الساعة لأن الكتابات التاريخية لم تكن كافية فلا نعرف اذا كانت هذه السياسة الجديدة للمنصور مردها اقتناعه الكلي بالتصوف وبالرسالة التي يؤديها، أو أنه كانت له خلفيات تعمل على التحكم في توظيف التصوف من قبل بعض الجهات في المشهد السياسي

[1] – التميمي: المصدر السابق، ص75.

[2] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص180.

[3] – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص216.

المغربي، وكلنا يعرف كثرة أتباع أبو مدين وشهرته الكبيرة، وبالتالي ربما سعى الخليفة المنصور لاحتواء أبو مدين وذلك من اجل احتواء القاعدة الشعبية المغربية الكبيرة الموالية للشيخ وجعلها تدور في فلكه[1].

وفي ظل البحث عن حيثيات وتفاصيل العلاقة التي جمعت بين الخليفة المنصور والشيخ ابومدين يجب علينا التنبه لنقطة مهمة جدا والوقوف عندها، وهي العلاقة التي جمعت بين الشيخ ابو مدين والسلطان صلاح الدين الايوبي، وانعكاساتها على العلاقة بين الخليفة المنصور والشيخ ابومدين [2].

ان العلاقة التي جمعت بين السلطان صلاح الدين الايوبي والشيخ ابومدين كانت علاقة وطيدة مبنية على المحبة والاحترام المتبادل، وسبق وان ذكرنا ان في فترة اقامة الشيخ أبو مدين في المشرق قام بالتواصل مع السلطان صلاح الدين الايوبي وقد شارك جنود مغاربة في الحروب الصليبية من أجل تحرير فلسطين، ولعل أكبر دليل على قوة هذه العلاقة هو ان قبل وفاة أبو مدين بسنوات قليلة كان قد أوقف من ماله الخاص قرية " عين كارم " بكاملها ضواحي القدس الشريف و"ايوان " التي تقع داخل المدينة العتيقة، والتي يحدها شرقا حائط البراق، وقرية عين كارم من اشهر قرى القدس الغربية، كما أوقف ابومدين سكنا للواردين من المغاربة ومحلات ومرافق عمومية، وجعل عائدات هذا الوقف خالصة لأهل هذا الحي، وجعل شروط واضحة لمن تكون له أحقية استغلال هذا الوقف[3].

وكان حي المغاربة الذي وقفه الشيخ ابو مدين قد دعى السلطان صلاح الدين الايوبي لإقامته وقف لآل ابومدين وتلاميذه وحدود هذا الوقف تمتد من باب المغاربة حتى باب السلسلة، وهي الأبواب الرئيسية للحائط الغربي للمسجد الأقصى المبارك، إن ما يهمنا في هذه العلاقة الوطيدة التي جمعت بين الشيخ ابومدين والسلطان صلاح الدين الايوبي هو كيف انعكست هذه العلاقة على علاقته مع الخليفة المنصور، ولعل أهم

[1] – نفسه، ص217.

[2] – ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص172.

[3] – ابن القنفذ: المصدر السابق، ص12.

تساؤل يخطر في بالنا، لماذا قدّم صلاح الدين الأيوبي هكذا وقف لأبو مدين؟ [1] هل لأنه كان يريد استدراجه من اجل مساعدته في أطماع أيوبية في المغرب الاسلامي؟ أم هي مكافئة على المساعدة التي قدمها الشيخ له اثناء الحروب الصليبية ومساهمته في تحرير فلسطين ؟[2]

كان صلاح الدين الأيوبي قد تولى القيادة في الشام ومصر بعد نور الدين زنكي، حيث استمر صلاح الدين في دفع حركة الجهاد وأخذ يستولى على مواقع الصليبيين حتى استرجع بيت المقدس سنة (583هـ) فتأهب الصليبيون لحرب صلاح الدين، وتتابعت أساطيلهم على الإسكندرية، لذلك فكر صلاح الدين في طلب النجدة من يعقوب المنصور الموحدي، فأرسل إليه هدية تشتمل على مصحفين ومائة درهم وخمسين قوسا عربية بأوتادها وغيرها من الهدايا الثمينة [3]، وأرفقها بكتاب جاء فيه :" الحمد لله الذي استعمل على ملة حنيفة من استعمر الأرض وأغنى من أهلها من سأله الغرض ،وأجرى على يده النافلة والفرض" [4]، وكان عنوان الكتاب من صلاح الدين الى أمير المسلمين، ويذكر السلاوي أن يعقوب المنصور لم يعجبه أن يخاطبه صلاح الدين بلقب أمير المسلمين لا أمير المؤمنين، وأن يعقوب أسرها في نفسه، لكنه أكرم وفادة رسول صلاح الدين دون أن يحقق له غرضا، واختلفت في ذلك الأقاويل ولعل سبب استنجاد صلاح الدين بالموحدين هو حاجة اسطوله لقطع من الأسطول الموحدي لدفع الخطر الصليبي، حيث اشتهر المغاربة في عهد الدولة الموحدية ببناء الأساطيل البحرية لاجتياز البحر الى عدوة الاندلس لحرب نصارى الأندلس[5]، ويذكر المؤرخون سبب آخر في توتر العلاقة بين صلاح الدين الايوبي في غرب مصر بحروب قام بها بعض اتباعه وخصوصا "قراقوش التقوي "

[1] – عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ص278.

[2] – ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص170.

[3] – حسن علي حسن: المرجع السابق، ص216.

[4] – جمال أحمد طه: **مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (1056م /1269م )دراسة سياسية وحضارية**، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، 2002م، ص70.

[5] – نفسه، ص 74.

الذي حالف بعض أعداء الموحدين كعرب بني هلال وبني غانية الذين كانوا يدعون الى المرابطين، وهذا سبب وجيه، ويبدو أن ظهور دولة صلاح الدين الايوبي على انقاض الدولة العبيدية في مصر ساءهم، لان ذلك ترتب عليه ظهور شعار العباسيين من جديد من تلك الديار، ولان الموحدين لم يعترفوا بخلافة العباسيين، وكانوا يرون ان دار الخلافة الشرعية من مدينة مراكش لا بغداد، وكانت طموحات خلفاء الموحدين ظاهرة من اجل توحيد العالم الاسلامي تحت لوائه، ولا سيما في عهد الخليفة يعقوب المنصور، الذي نسب اليه تصريحات تدل على رغبته في الرحلة الى المشرق وتطهيره من عيوبه[1].

لا شك أن الموحدين كانوا يخططون لغزو المشرق كله،ولا شك ان امراء الدولة الأيوبية يعلمون بهذا او لذلك ارادوا ان يأخذوا زمام المبادرة من أيديهم ،فقام الأيوبيين بتكليف بعض شخصياتهم بالتوجه الى بلاد المغرب وايجاد مراكز نفوذ لهم بها ، وذلك حتى تكون هذه المراكز خط الدفاع الاول عن امارات المشرق في وجه الأطماع الموحدية وكانت غزوة قرقوش على المغرب هي إحدى هذه الخطوات التى بادر الايوبيين باتخاذها[2].

وهنا علينا التساؤل إن كانت العلاقة بين صلاح الدين الأيوبي وأبي مدين شعيب أساسها الرغبة في استكمال السلطان صلاح الدين الأيوبي لسياسته بتكليف بعض شخصيات الكبار بالتوجه للمغرب وإيجاد مراكز نفوذ لهم ليشكل خط دفاع الأول عن دولته ولعل هذا ما استشعره الخليفة المنصور فأرسل في استدعائه وطلبه.

[1] – البيذق: المصدر السابق، ص 78.

[2] – جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص 69.

إن صلاح الدين الأيوبي لم يعترف بخلافة السلطان الموحدي ولم يخاطبه بلقب امير المؤمنين بالإضافة الى تصادم المصالح السياسية والخلاف السياسي والعقيدي، يجعل العلاقة بين الطرفين متوترة حتى وان لم يظهر هذا التوتر للعلن[1]، وبتالي لابد أن ينعكس هذا التوتر على علاقة المنصور بالشيخ ابو مدين، ويجعل الاول يأخذ الحيطة والحذر من هذا الاخير ويتوجس منه و يجعله إما يحاول استمالته لصفه، او يحاول تصفيته نهائيا والأكيد أن سبب استدعاء الخليفة المنصور لشيخ ابو مدين لا يتعدى الاحتمالين.

### 4.3. سلطة أبو مدين الروحية وانعكاساتها السياسية:

لعبت كرامات المتصوفة بصفة عامة دورا فعالا في الحياة الاجتماعية بالمغرب الاسلامي، اذ مثلت موقف الاولياء من معناة المجتمع، فترجمت تلك الكرامات موقف المتصوفة ازاء العديد من القضايا ولم تكن مجرد قصص خرافية[2]، فالكرامة هي تعبير أدبي من لون معين، غالبا ما تكون عبارة عن حكاية قصيرة تروى قصة بطل صوفي او ولي صالح له من القدرات ما يمكنه من تحقيق ما هو خارق للعادات ومخالف لسنن الطبيعة كالحديث مع الموتى وتسخير الحيوان والجماد والماشية على الماء والطيران في الهواء[3].

والشيخ أبو مدين كغيره من المتصوفة، فقد تنوعت كراماته بحسب الموضوع الذي طرحت لأجله وكانت لها الاثر القوي في تغيير بعض الامور ولو بشكل نسبي، ففي الجانب السياسي عالج من خلال كراماته فكرة الظلم والاستبداد الذي يرتبط بالعمال والأمراء وكل المقربين من السلطة ممن سعو وراء تحقيق مصالحهم على حساب المجتمع، ويذكر ان بعض كراماته حدثت في بعض الاحيان على مرأى من السلطة فهابوه لما رأوا من عجائبه.

[1] – عز الدين عمر أحمد موسى: المرجع السابق، ص 39.

[2] – ابراهيم القادري بوتشيش: **وقع خطاب كتاب الاحياء**، المرجع السابق، ص 141.

[3] – محمد حسن العيد روس: **المغرب العربي في العصر الإسلامي**، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2009م، ص 596.

ربما لهذا اثر كبير في علاقاته مع السلطة،إمّا خوفا منه، أو محاولة لتكذيبه، وقد ارتبط حضور المتصوف بصفة عامة في اذهان العامة بما يتمتعون به من قدرات خارقة تجعل منهم اندادا للسلطة الحاكمة في تكريس معتقداتهم، لذلك توترت العلاقة بين السلطة والمتصوفة عند اتخاذ مواقفهم وتصرفاتهم لجور العمال والولاة، مدافعين عن حقوق المظلومين بتوظيف كراماتهم، والقارئ للكرامات يجدها تعكس في طياتها الصراع والتنافس للتحكم في العامة.

بالإضافة الى اهتمام المتصوفة بالجانب الأخلاقي،حيث مُنع بعضهم قطع النباتات الا للضرورة حتى أن احدى الكرامات عكست لنا هذا، اذ صورت تحدث النباتات مع أحد المتصوفة وأخبرته بالنافعة منها والصارة وبالتالي أشارت الكرامات الى ان المتصوفة هم السلطة الوحيدة القادرة على قيادة وتسير هذا المجتمع.

لكن كرامات المتصوفة التي عالجوا من خلالها ظلم السلطة أثبتت فكرة الانهزامية،أي أن العامة أصبحت تنتظر الفرج من الله دون أن تحرك ساكنا أو تساهم في الوقوف في وجه ما يجري بالمجتمعات من اختراقات وظلم، بل عمدت الى الاتكال على كرامات المتصوفة ودعوتهم،كما ان فشل المشروع الذي طرحه المتصوفة دفعهم الى الاعتماد على العامل النفسي في الوقوف الى جانب العامة والاقبال على تهيئتهم لتقبل المصير الذي سيؤولون إليه وهو الموت[1].

وقد اهتموا أيضا بتوفير الرعاية الاجتماعية للفقراء والمساكين ومعدومي الدخل، كما خصوا اليتامى برعايتهم، فوفروا لهم الحياة الكريمة بعد وفاة آبائهم[2].

والملاحظ أن دور الصوفية تجاه المجتمع لم يقتصر على هذا فقط بل نجدهم قد اصلحوا الخلافات الأسرية التي كانت تحدث بين الزوجين وتنتهي غالبا بالطلاق، بالإضافة الى أن المتصوفة اولوا اهتمام كبير بالجانب الأخلاقي، حيث ألف أبو مدين لهذا الغرض كتابه " أنس التوحيد ونزهة المزيد "استعرض فيه الزهد في

[1] – كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص24.

[2] – نفسه ، ص153.

الدنيا وأبرز فيه السلوك المثالي من اخلاص و اينار، داعيا الى الابتعاد عن البدع والخرافات[1]، لذلك كانت الأعمال التي قام بها المتصوفة سببا في التفاف شرائح المجتمع حولهم[2].

[1] – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 191.

[2] – نوارة شرقي: المرجع السابق، ص101.

# خاتمة

**خاتمة:**

إن المتتبع لما حدث في مسار العلاقة بين المتصوفة والسلطة الموحدية الحاكمة، و المتمثلة في شخص أبو مدين شعيب والخليفة المنصور، يدرك جيداً أسباب الخلاف و الوفاق بينهما، هذه الأسباب التي تجعل هذه العلاقة تتأرجح بين الود والشدة قديمة قدم الوجود الصوفي والسلطة ,لأن ما حدث بينهم لم يكن وليد تلك الفترة ولا وليد الصدفة، لقد كان نتيجة لمجموعة من التراكمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية التي تعود جذورها الى أقدم من هذين الشخصيتين، وبالتالي للخوض في هذه العلاقة كان ولا بدّ علينا لزاماً العودة لمجموعة من المعطيات والحيثيات التي طغت على هذه العلاقة من اوجه الوفاق، والخلاف لنتمكن في الأخير الخروج بمجموعة من الاستنتاجات المبنية على اسس تاريخية وعلمية المتمثلة فيما يلي:

- لقد كان المتصوفة في تلك الفترة أصحابه مناصب سياسية هامة ولم تكن لهم رغبة في الخروج عن السلطة وتصوف ثوري عرف منعرج خطير حيث أصبحت لديه تطلعات سياسية اتخذ أصحابه من الثورات وسيلة لهم لتحقيق مكاسبهم لذلك حاولت السلطة محاربتهم وكبح جماحهم.
- مواقف أغلبية المتصوفة بمختلف اتجاهاتهم من السلطتين المرابطية والموحدية قد طغى عليها مجانبة السلطة والابتعاد عن الخوض في الأمور الحاكمة والسياسة، خاصة متصوفة الاتجاه السني الزهدي ,رغم أن هناك بعض منهم فضل الدخول في علاقات مباشرة معها من خلال تولي بعض الوظائف.
- تنامي تيار التصوف بمختلف اتجاهاته خلال القرن السادس هجري وحتى الربع الأول من القرن السابع هجري ,وإدراك كل من السلطتين لمدى خطورته على الوضع في المنطقة.
- إتباع كل من السلطتين المرابطية والموحدية لسياسات متشابهة في التعامل مع فئة المتصوفة مع بعض التفاوت في مدى جديتها وتحقيقها للنتائج المرجوة منها.

- الشدة والصرامة والمراقبة سمات ميزت سياسة الدولة المرابطية اتجاه فئة المتصوفة مع بعض اللين في الفترات المتأخرة
- تجذر الخصومة الشديدة بين فئة المتصوفة والفقهاء المالكية وهذا ما لمسناه خاصة في العهد المرابطي من خلال تعامل السلطة مع المتصوفة، وثورة الفقهاء المضادة، للحيلولة دون انتشار المد الصوفي الذي أعلن ثورته في غرب الأندلس كما رأينا من قبل.
- تباين سياسة الدولة الموحدية تجاه فئة المتصوفة بين الشدة والصرامة واللين، وذلك بحسب قوة الدولة وضعفها، وفي بعض الحالات المزج بين هذا وذاك.
- فشل سياسة الاستقطاب والاحتواء التي اعتمدتها الدولة المرابطية و الموحدية وعلى الأخص هذه الأخيرة والدليل على ذلك عبارات الانقباض والإعراض الواردة في الكثير من تراجم المتصوفة.
- محاولة بعض الأطراف توظيف فئة المتصوفة واستغلال شعبيتها، خدمة لمصالحهم من خلال منح بعضهم بعض المسؤوليات كولاية بعض المدن ,كما حصل مع ابن هود الذي ولى عزيز بن عبد المالك مرسية هذا الأخير سرعان ما استأثر بالحكم لنفسه وبهذا نرى عودة طموح المتصوفة الى السلطة من جديد.
- امتناع وإعراض أغلبية المتصوفة عن الدخول في علاقات مباشرة مع السلطة، وهذا لا ينفي تولي بعض منهم لوظائف مختلفة كالشورى ...الخ.
- غير أنّ أهم نتيجة توصلنا إليها من خلال هذا العمل هو أنّ التصوف خلال العصر الموحدي عرف تعددا في إتجاهاته، واختلافا في مناهجه، وبرز في العصر ذاته متصوفة مغاربة وأندلسيين إختلفت درجات ثقافاتهم وعلمهم كالتفاوت في ذلك بين أبو يعزى وأبو مدين شعيب .
- لقد عملت السلطة الموحدية على إحتواء التيار الصوفي المسالم في نفس الوقت كانت تلوح بالعصا في وجه التيار الصوفي الثوري، و هنا نلاحظ تباين سياستها بين هذا و ذاك، في المقابل نجد أن التيار الصوفي في

حد ذاته قد تباينت مواقفه من السلطة الموحدية بين من يتعامل معها و يساهم في خدمتها و بين من يتصادم معها نتيجة سياستها، و بين من يحبذ الإبتعاد عنها و اجتناب الخوض في أمور السياسة.

# الملاحق

**الملحق رقم (1)**

**رسالة صلاح الدين الايوبي الى الخليفة المنصور يعقوب**

**المرجع: مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء**

**الملحق رقم(2)**

**المرجع: مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء**

# قائمة المصادر و المراجع

**أولا: المـــــصادر**


1. ابن أبي زرع الفاسي(741هـ): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تح. عبد الوهاب بن منصور، دن، الرباط، 1973م.
2. ابن الخطيب ابو عبد الله محمد السلماني لسان الدين(ت 776هـ/1291م): **أعمال الإعلام**، تح. ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، 1956م.
3. ابن الزيات التادلي ابو يعقوب يوسف ( ت628هـ/1226م): **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تح. أحمد توفيق، ط2، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1997م.
4. ابن خلدون عبد الرحمن (ت 808هـ/ 1405م): **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،ج6.7، دار الفكر، بيروت، 2000 م.
5. ابن خلكان ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت 681هـ/1282م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح. إحسان عباس، مج 5.6، دار الثقافة، بيروت د ت.
6. ابن عذارى ابو عبد الله المراكشي(حي سنة 712هـ/ 1312م): **البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب(قسم الموحدين)**، تح. محمد ابراهيم الكتاني وآخرون،ج4، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب، 1985م.
7. ابن عربي: **تصدير الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، تح. عبدالوهاب بن منصور دار المنصور للطباعة، د ب، 1973م.
8. ابن فرحون ابراهيم بن نور الدين( ت799هـ/1396م): **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح. مأمون بن محي الدين الجنّان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

9. ـــــــ/ ـــــــ:**كشف النقاب الحاجب من مصطلح بن الحاجب**، تح. حمزة ابو فاس و عبد السلام الشريف، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت،1990م.

10. ابن قنفذ أبو العباس احمد القسنطيني(ت 810هـ/1407م): **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية** تح. محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م.

11. ـــــــ/ ـــــــ: **أنس الفقير وعز الحقير**، تص. محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، د ت.

12. ابن مريم محمد بن احمد المديوني(ت1014هـ/1605م): **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، مطبعة الثعالبية الجزائر، 1908م.

13. ابو العباس احمد بن خالد الناصري: **استقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية و الموحدية**، ج2، د ط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م.

14. احمد التادلي: **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، د ط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،1996م.

15. احمد بابا التنبكتي(1030هـ/1620م): **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تح. عبدالحميد عبدالله الهرامة ج2.1، ط1 منشورات الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989م.

16. أحمد بن القاضي المكناسي: **جدوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والورق، الرباط، 1973م.

17. البيذق ابوبكر الصنهاجي(ت ق6هـ/ق 12م): **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين** دار المنصور للطباعة، الرباط، 1971م.

18. التميمي أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الفاسي: **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد**، تح. ط1، محمد الشريف، مطبعة طوب بريس الرباط، 2002م.

19. الحميري محمد بن عبد الله بن عبد المنعم(حي سنة 866هـ/ 1381م): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح. احسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت 1975م.

20. السلاوي أبو العباس احمد بن خالد الناصري(1315هـ/1897م): **الإستصقا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية**، تح. جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج2، دار الكتاب اللبناني، الدار البيضاء، 1954م.

21. الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد(704هـ/1314م) : **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية** تح. رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،1970م.

22. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد(505هـ/1111م): **احياء علوم الدين**، دار المصرية اللبنانية، لبنان دت.

23. المراكشي ابن عبد المالك محمد بن محمد(703هـ/ 1303م): **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تح. محمد بن شريفة، د ط، دار الثقافة، بيروت، د ت.

24. المراكشي عبد الواحد أبو محمد بن علي التميمي(حي سنة 613هـ/1216م): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ط1، المكتبة العصرية بيروت، 2006م.

25. المقري احمد بن محمد التلمساني(ت1048هـ/1631م): **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب** تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م.

26. مؤلف مجهول: **الاستبصار في عجائب الامصار**، تح. سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الاسكندرية ، مصر، 1985م.

27. الهجويري علي بن عثمان الجلابي(ت 465هـ/1077م): **كشف المحجوب**، تح. سعاد عبد قنديل، د ط، مطابع الأهرام التجارية الاسكندرية، 1974م.

28. الوزان الحسن بن محمد الفاسي(947هـ/1550م): **وصف افريقيا**، تر.محمد حجي ومحمد الأخضر ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1983م.

**ثانـيا: المراجــع**

29. ابو مصطفى كمال السيد: **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية 1996م.

30. احمد موسى عز الدين: **النشاط الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ/12م**، ط1، دار الشروق، بيروت، 1983م.

31. البختي جمال علال: **الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب الى حدود القرن السابع هجري**،ط1 مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2005م.

32. بديوي يوسف علي: **عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد الى السقوط** ط1، دار الأصالة ، الجزائر ، 2010م.

33. بو لطيف لخضر محمد: **الفقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي 1116-1299م**، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت، 2002م.

34. بوتشيش ابراهيم القادري: **الإسلام السري في المغرب العربي**، ط1، سينا للنشر، القاهرة1995م.

35. ـــــــــ/ ـــــــــ: **وقع خطاب كتاب الإحياء للإمام الغزالي** في المجتمع الغرب الإسلامي ضمن كتاب اضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، ط1، دار الطليعة بيروت، 2002م.

36. بونابي الطاهر: **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 هـ/12و13م**، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2004م.

37. حركات ابراهيم: **المغرب عبر التاريخ من عصر ما قبل التاريخ الى نهاية دولة الموحدين**، ج1، د ط، الدار البيضاء، د س.

38. حسن حسين علي: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين** ط1 مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1980م.

39. الحسيني كمال دحومان: **أشراف الجزائر ودورهم الحضاري في المجتمع الجزائري**، ط.1، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، 2009م.

40. روس محمد حسن العيد: **المغرب العربي في العصر الإسلامي**، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة 2009م.

41. زغلول سعد عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي المرابطون، صنهاجة الصحراء الملثمون في المغرب والسودان والاندلس**، ط1، دار المعارف، مصر، 1995م.

42. زينب نجيب: **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، ج2، ط1،دار الامير للثقافة والعلوم بيروت، 1995م.

43. السائح الحسن: **الحضارة الاسلامية في المغرب**، ط2، دار الثقافة، المغرب، 1986م.

44. الشريف محمد: **التصوف والسلطة في العصر الموحدي (7/6هـ) مساهمة في دراسة ثنائية الحكم والدين في النسق المغربي الوسيط**، ط1،لجمعية المغربية للدراسات الاندلسية، د ب، 2004 م.

45. الصلابي علي محمد: **صفحات من التاريخ الاسلامي في الشمال الإفريقي دولة الموحدين**، ج5، د ط، دار البيارق للنشر، 1998م.

46. طه جمال: **الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي عصري المرابطين والموحدين**، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، 2004م.

47. طه جمال أحمد: **مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (1056م /1269م )دراسة سياسية وحضارية**، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، 2002م.

48. عبيد بوداود: **ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين (7-9هـ/13-15م)**، دار الغرب للنشر والتوسيع، وهران، 2003م.

49. عنان محمد عبدالله: **دولة الإسلام في الأندلس عصر الموحدين**، ج5، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ت.

50. محمود عبد الحليم: **أبو مدين الغوث حياته ومعراجه الى الله**، دار المعارف، القاهرة، د ت.

51. مخلوف محمد بن محمود: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، د ط المطبعة السلفية، القاهرة 1349هـ.

52. مكي محمود علي: **التصوف الأندلسي مبادئه وأصوله دعوة الحق**، العدد 7، 1962م.

53. مؤنس حسين: **سبعة وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس**،ط2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2000م.

54. ـــــــ/ ـــــــ: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ط1، دار الرشاد، دب، 1992م.

55. الميلي مبارك بن محمد: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تح. محمد الميلي، ج2، د ط.

56. النجار عبد المجيد: **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت**، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، 1995م.

**ثالـثا: الرسائـــل**

57. جدو فاطمة الزهرة: "السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين"، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط)، إشراف الدكتور بكيز بحاز، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، 2008م.

58. شرقي نوارة: "الحياة الإجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين"، (مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط)، إشراف الدكتور عبد العزيز محمود لعرج، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2008م.

59. شكيمة ربيعة و قعار ربيعة: "التصوف في المغرب الإسلامي خلال العهد الموحدي"،( مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ)، إشراف الأستاذ غانية بشير،كلية العلوم الاجتماعية والانسانية جامعة الوادي، 2012/2011م.

60. نجار ليلى أحمد: "المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي دراسة تاريخية وحضارية"، (بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراء في التاريخ الإسلامي)، إشراف الدكتور أحمد السيد درّاج، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، 1989م.